# مفهوم الحرية
# في فلسفة أنطون سعاده
# المدرحية القومية الإجتماعية

كثر الحديث عن الحرية والحريات، والمنظرون يتكاثرون يوماً بعد يوم والغالبية الساحقة من المنظرين يرون انهم يملكون ناصية الحق والصواب، والقلة النادرة منهم يعترفون بحدودهم ويقفون عندها ويسعون الى معرفة أعمق وأوسع وأبعد مدى.

وبما ان مفهوم اية قضية من قضايا الفكر يخضع الى النظرية التي تنطلق منها أي من نظرة الى الوجود والحياة والكون ،ودور الانسان في الوجود والحياة والكون ، وتصوّره المنبثق من النظرة الى مستقبل الوجود والحياة والكون، ورسالته ومهمته في فهم الوجود والنهوض بالحياة وسبر اغوار الكون وابداع ما تمكّنه مواهبه من ابداعه للوصول الى ماهو أجود وأحسن وأصلح وأجمل ، فان أي مفهوم يظل مقيّدا بالنظرة الفلسفية الاساسية التي انطلق منها

## الوعيّ السليم شرط ضروري للمعرفة والفهم

فالانطلاق من نظرة غيبية غيرالانطلاق من نظرة وجودية، والارتكازالى فلسفة جزئية غيرالارتكاز الى فلسفة شاملة. والاعتماد على فلسفة فردية غير الاعتماد على فلسفة اجتماعية. والأخذ بنظرية افتراضية غير الأخذ برؤية واضحة للواقع الانساني الطبيعي . ولذلك فان مفهوم اي قضية يتدرج من الفهم الفردي الى الأسروي الى العشائري فالمكاني فالاتني فالتكهّني الغيبي فالطائفي فالملي فالديني الماورائي الى الاجتماعي الانساني ،الى غير ذلك من التجمهرات

والتجمعات ...ولذلك فان مفاهيم الحرية ليست واحدة ووحيدة المعنى والاصطلاح والقصد عند الجميع .

ونظراً لذلك فقد استقر الرأي في مكتب الطلبة في الحزب السوري القومي الاجتماعي في العهد الشهابي الارهابي المجرم على أن يكون عملنا التثقيفي الاذاعي بين أوساط الطلبة في لبنان مبنياً على الوضوح والتوعية السليمة والتوضيح الصحيح لفلسفة العقيدة السورية القومية الاجتماعية ومبادئها ومنهاجها وغايتها خصوصاً بعد توزيع سلطة العهد الشهابي المجرم مناشيره على كل الارض اللبنانية وبعثاته الدبلوماسية هذا المنشور الذي قال فيه :"**من آمن بالمسيحية فهو كافر، ومن آمن بالاسلام فهو أكفر، ومن آمن بلبنان فليس منا. ديننا الحزب القومي السوري**"كماجاء في المنشورالذي وزعته السلطة اللبنانية متذرعة انها وجدته بين اوراق قادة الحزب آنذاك ، وكل هذا لتزوير حقيقة الحزب وتشويه صورته امام الشعب في لبنان، واثارة الغوغاء والحاقدين على فكرة وغاية الحزب وأعضائه الذين تعرّضوا لأقسى أنواع الظلم والاضطهاد. وهذه عيّنة صغيرة من مآثر العهد الشهابي التي يجب ألا تنسى .

وبناء على ما تقدم تم التركيز في مكتب طلبة الحزب في الحلقات التثقيفية الاذاعية على فاتحة لكل الحلقات التثقيفية التي كنت متحدثاً فيها أو كان متحدثاً فيها غيري على موضوع التوعية السليمة بطرق وصيغ كلامية مختلفة قبل البدء بموضوع الحلقة المخصصة للموضوع . وأذكر ان الرفيق بهيج ابو غانم بعد تسلّمه مسؤولية رئاسة شعبة الطلبة الثانويين سنة 1968 قال لي:"**لقد قيل لي من بعض الطلبة ان الرفيق يوسف يكثر الحديث عن التوعية ، ودائما قبل ان يدخل في الموضوع يعيد موضوع التوعية والوعيّ فكأنه يكرر نفسه ويظهر انه يحفظ المقدمة عن ظهر قلب** ". فكان جوابي يومها عبارة المعلم سعاده الذي قال في محاضرته الأولى :"**المعرفه والفهم هما الضرورة الأساسية الأولى للعمل الذي نسعى لتحقيقه .**

فبدون الوعيّ والمعرفة والفهم لا نستطيع تحقيق شيء .
وللحقيقة أقول انني والرفيق جوزيف بابلو شكّلنا فريق تثقيف اذاعي متكامل بيني وبينه في فترة الستينات مهمتنا توضيح فكر المعلم أنطون سعاده بأسلم وأبسط وأوضح وأوسع وأعمق ما نتمكن منه . فكنّا نعدّ ونحضّر الحلقات الفكرية التثقيفية ونتناقش بها وحولها قبل ان نلقيها ارتجالاً في أوساط الطلبة ليتمكن الطلاب من الفهم الأصح والأعمق لمضامين رسالة سعاده المدرحية القومية الاجتماعية ، كما كنا نتناقش مع غيرنا من أعضاء مكتب الطلبة وبعض الامناء وزيارة بعض الأمناء والرفقاء القوميين الاجتماعيين المشهورين بفهمهم للعقيدة القومية الاجتماعية من امثال جورج عبد المسيح ومحمد يوسف حمود والياس جرجي قنيزح ومصطفى عبد الساتر وعلي نزهة وهنري حاماتي وعبدالله محسن وزكريا اللبابيدي ، كما كانت لي زيارات خاصة للأمناء عبدالله سعاده وأسد الأشقر وانعام رعد في السجن .
وكان التدارس الأهم يحصل بيني وبين الرفيق جوزيف بابلو من الحسكة في الكيان الشامي الذي كانت والدته تخاف عليه كثيراً لأنه وحيدها بين سبعة شقيقات نذرت واحدة منهن لتكون راهبة قبل ولادة جوزيف. وعندما وُلد جوزيف التحقت شقيقته بالراهبات وذهبت الى فرنسا ولم تر شقيقها جوزيف ولا هو رآها الا بعد ان بلغ الواحدة والعشرين من عمره.وكانت والدته امرأة سورية فاضلة ومحترمة ومثقفة وتجيد اللغة الفرنسية كما لو كانت من مواليد فرنسا بل ان لغتها المفضلة كانت الفرنسية لا تطمئن على الرفيق جوزيف الا عندما نكون مع بعضنا .

وكان انطلاقنا في الحلقات التثقيفية الاذاعية مما ورد لسعاده في كتاب"**شروح في العقيدة** "صفحة 187 التي قال فيها :" **ان النهضة لا تُبنى الا على أساس متين . مهما استغرق وضع الأساس فلا بد من وضع الأساس . نحفر في الأرض الى أن نصل الى الصخور المثبتة التي يمكن أن نؤسس عليها البناء المتين الذي نتصور . اننا لا نضيع وقتاً في هذا العمل . غيرنا يبني على سطح الأرض . يجمع أقواماً من الرجال في برهة وجيزة وكيفما اتفق من الرجال المتعددي النفسيات**

**يظن أنها تقدر على عمل يمكن أن يُسمى فتحاً أو انتصاراً ،والسير بها جماهير لا أول لها ولا آخر . وحالما تصل هذه الجيوش الى مواجهة الخطوط الأولى يظهر ضعفها ، وتفسّخ نفسياتها ، وتشوّش عقلياتها ، وتضارب أفعالها وخططها ، فترتطم وتصدم وترتد أمام الأعمال النظامية التي يقوم بها الأعداء . فتضمحل واذا هي لا شيء . تطير هذه الجيوش أمام قوة قد تكون أقل منها بكثير ."**

اقتصرت محاضرات الرفيق جوزيف على العلوم الاجتماعية والفكرية انطلاقا من نظرة سعاده وقد قام بعدة حلقات اذاعية لشرح نظرية سعاده الاجتماعية بالفرنسية فضلاً عن العربية ، وكانت مهمتي التثقيفية تناول المسائل الفكرية ايضاً والفلسفية والدينية والاقتصادية دون ان يعني ذلك اننا لم نتشارك في اعداد المحاضرات وفي كل الأمور.
ولا أخفي سراً اننا كنّا ندرس معاً كتابيّ الانجيل والقرآن دراسة علمية بحثية دقيقة لفهم اقصى ما يمكن فهمه من دراستهما الى ان استقر الأمر على أن ينصرف الرفيق جوزيف الى مواضيع علم الاجتماع ويترك لي أمر توضيح المفهوم الديني عند سعاده عندما يتطلب ذلك . ومن جملة المواضيع التي تحدثت فيها يومها عن **مفهوم الحرية في الفلسفة المدرحية القومية الاجتماعية ورسالتها ، ومفهوم الواجب القومي الاجتماعي . ومفهوم النظام القومي الاجتماعي، ومفهوم القوة القومية الاجتماعية** .

## رموز زوبعة الحزب : دعائم وقواعد وقِيَم

وكلمات الحرية والنظام والقوة والواجب ليست كلمات للتسلية وشعارات للتكرار بل هي"**رموز الحزب السوري القومي الاجتماعي الأربعة التي تعبر عن تاريخ الحزب وتاريخ الامة السورية الحقيقي والتي هي الدعائم الاساسية لقيام النهضة "** كما عبّر عنها مؤسس الحزب
أنطون سعاده. وهذه الرموز هي الدعائم الاساسية الحقيقية التي تشكل وحدة متينة متماسكة لا تجوز تجزئتها تحت مختلف الظروف ،لأن

تجزئتها تشوّه وتمسخ حقيقتها وتعرّضها لبلبلة المفاهيم واستنسابية الأذواق وتُفرغها من جوهرها القيمي .

## الحرية بين الواجب والنظام والقوة

وقد كان الرفيق الدكتور كمال الرافعي موفّقاً كل التوفيق في دراسته " **الحرية بين الواجب والنظام والقوة** " في قوله : " **هل يجوز تجزئة هذه الرموز الأربعة : الحرية والواجب والنظام والقوة بحيث يبدو الواحد منها مستقلاً بجوهره عما عداه ؟ ثم هل للحرية أسبقية أو أفضلية بالنسبة لباقي رموز النهضة ؟ الجواب طبعاً بالنفي في الحالين . فرموز النهضة الأربعة وحدة متكاملة كاملة بحيث لا يمكننا ولا يجوز لنا أن نتصور الواحد منها منفصلاً عما عداه ، فكيف يستقل بجوهره ؟ الحرية تكون في الواجب ، كما يكون هذا في النظام ، وكما يكون النظام بالقوة . هذه القيم الأربع تتسلسل فيما بينها في جوهرها وفي شروط وجودها لذلك هي في النهاية قيمة النهضة الكبرى التي هي تعبيرات مختلفة عن حقيقتها العظيمة**".

## فلسفة سعاده بناء متماسك

وبالمناسبة أذكر أستاذ الفلسفة في الجامعة اللبنانية الشهيد الدكتور كمال يوسف الحاج بكل التقدير والحب عندما نصحني بقراءة مقاليه عن أنطون سعاده الأول بعنوان : "**سعاده ذلك المجهول**"والثاني بعنوان"**سعاده الفيلسوف**" حيث قرأت له يومها في مقاله الثاني عن فلسفة سعاده هذا الكلام :" **أما فلسفة سعاده فبناء متماسك له سقف عال هو الجوهر أو السماء ، وقاعدة راسخة هي الوجود أو الأرض ، وجدران أربعة هي القيَم الانسانية الكبرى .. أعني الحرية الواجب، النظام القوة. تلك هي الحقيقة.**"

هذا ما قاله الدكتور كمال يوسف الحاج عن بناء سعاده الفلسفي المتماسك : قاعدة وسقفاً وجدراناً بحيث لا يمكن ان يستمر البناء متماسكاً

وقائماً ومتيناً اذا انفصلت الجدران عن قاعدتها وعن بعضها البعض وعن سقفها ،أو انعدمت القاعدة وانهارت الجدران وسقط السقف . ومن المفيد ان نورد ما قاله الدكتور كمال يوسف الحاج عن السقف والقاعدة والقيم الاجتماعية في مقاله "سعاده الفيلسوف" حيث ورد فيه:"**السقف هو الجوهر.هو السماء. والسماء واحدة،لاسماوات،والا ألغيت سماويتها.لاتعدد في الجوهر من حيث هو،لأنه ذو أقنوم بسيط. والبسيط لا يتجزأ.ثمة جوهر واحد في كل الناس،هو الانسانية... ولكن السماء ليست في السماء فقط، وانما هي على الأرض، أيضاً ، والا ما كانت سماء ، فمن أراد أن يدرك السماء ، قبض على الأرض، وسخّرها لغاياته السماوية. لذا كانت الجواهر السماوية وجودات أرضية ... أي كانت القيَم الانسانية تحقيقات قومية ."**

وهذا ما قاله سعاده عن القيم :

**"الحق والخير والجمال ، قيَم اجتماعية. الحق انتصار على الباطل في معركة انسانية، وليس في معركة غيبية،أو إلهية تجري وراء هذا العالم، ولا يشترك فيها الانسان ـ المجتمع الانساني .**

## الرسالة السورية القومية الاجتماعية

وقد وضعت ملخصاً لرسالة المعلم سعادة السورية المدرحية القومية الاجتماعية قلت فيه منطلقاً من قول سعاده عن هذه الرسالة :

**"الرسالة السورية القومية الاجتماعية هي رسالة الشعب السوري الى سورية أولاً ،والى العالم أجمع. رسالة الحرية والواجب والنظام والقوة "** .

**"رسالة الحرية لنا ، ورسالة الحرية لأصدقائنا ، ورسالة الحرية حتى لأعدائنا . انها رسالة الحرية الانسانية .**

**رسالة الواجب الذي يحمّلنا مسؤولية إنقاذ انفسنا،وإنقاذ أصدقائنا، وإنقاذ أعدائنا أيضاً. إنها رسالة واجب انقاذ جميع بني البشر .**

**رسالة النظام القائم على الحق والعدل الذي لا سبيل سواه لتسديد خطانا ، وتسديد خطى أصدقائنا ، وخطى أعدائنا كذلك . انها رسالة النظام الانساني البديع الذي يحفظ مسيرة الأمم في الاتجاه الحضاري التمدني الصحيح .**
**رسالة القوة المادية الروحية (المدرحية) التي تحرّك فينا أعظم القيم التي تساعدنا على تعميم العافية والخير والسلام في مجتمعنا، وفي مجتمعات اصدقائنا ، ومجتمعات أعدائنا . انها رسالة القومية الاجتماعية المادية النفسية الدينامية التي تحرّك الانسان أينما كان نموّاً ورقياً وتسامياً .**

**إنها رسالة أمتنا الى جميع بني البشر توضيحاً وممارسةً وارتقاءً برسالتيّ مسيحنا ونبيّنا : رسوليّ المحبة والرحمة بين الناس .**
**إنها مسؤوليتنا الخطيرة التي هدفها الكبير خلق الانسان - القومي الاجتماعي المجتمعي- العالمي، الواعي، الناهض، المناقبي ، الاخلاقي ، المبدع ، المتفوّق الذي يجعلنا جديرين بموهبة العقل ، هبة الله العظمى التي تعني ان لا نقصد في الحياة لعباً ولا لهواً ، بل أن نكون ونستمر سادة الخليقة والكائنات "**

فمفهومنا لإنشاء الانسان - العالمي الناهض الذي نسعى الى انشائه بعد ان نحقق نهضة مجتمعنا القومي الاجتماعي هو في تلاقي نهضات الأمم وتفاعلها فيما بينها وتناغم رؤاها وأفكارها وخواطرها وخطط رقيّها وليس في عداواتها وحروبها التدميرية وهيمنة قويّها على ضعيفها ، واستغلال ثريّها لفقيرها ، واحتقار متقدمها لمتخلّفها .

## مفهوم الحرية مفهوم نهضوي

ان مفهوم الحرية في فلسفة سعاده المدرحية السورية القومية الاجتماعية انطلق من هذه الرسالة . رسالة النهضة القومية الاجتماعية . وأرى من المفيد في هذه الايام ان اعيد كتابة ما كتبته سابقاً عن مفهوم الحرية في الفلسفة القومية الاجتماعية واؤكد من جديد ان موضوع

الحرية مشكلة عميقة الجذور في تواريخ ألأمم . تناولها الفكر الإنساني في جميع عصوره ومراحله، وفي جميع ميادين ونواحي نشاطاته من فلسفية وأدبية وعلمية واقتصادية وسياسية...الخ .
لهذا لن ندَّعي بأننا أول من طرق باب هذا الموضوع ، ولا آخر من سيخوض غماره . فقد تناوله بالدرس والبحث غيرنا كثيرون ، وسيتناوله ويعالجه غيرنا كثيرون عبر الاجيال القادمة .

فتعددت بذلك وتتعدد مفاهيم الحرية بتعدد الدارسين والباحثين ، وتمايزت وتتميّز ، وتنوعت وتتنوع بتمايز وتنوع الجماعات ، والبيئات ، والأزمنة ، ومستويات حضارات الشعوب واختلفت مفاهيمها وتختلف باختلاف مُعرّفيها ومنطلقاتها .
إلاّ أن الجديد عندنا هو الرؤية الجديدة للإنسان والحرية التي تكشفت لنا بنظرة أنطون سعاده الشاملة الى الحياة والكون والفن . الشاملة لكل مظاهر الحياة المادية – الروحية .الشاملة بمعنى انها نظرة عقلية . نظرة العقل المجتمعي الانساني المحرر نفسه بنفسه بنموّه بانفتاحه. بديناميته . بتصاعد نضوجه . بتجاوزه كل خطأ. بتخطيه كل صعب.باستشرافه كل حق وصواب وصلاح. باعترافه أن لا أحد من البشر يستطيع أن يعيّن بداية لهذا الوجود ولا نهاية. ولا عمق ولا سقف ولا جدران مانعة بارادة موجد الوجود وواهب العقل للانسان الذي وصفه أنطون سعاده:"**العقل هو نفسه الشرع الأعلى والشرع الأساسي. هو موهبة الانسان العليا . هو التمييز في الحياة . فاذا وُضعت قواعد تبطل التمييز والادراك ، تبطل العقل فقد تلاشت ميزة الانسان الأساسية وبطل أن يكون الانسان انساناً** " .

فنحن لا نقول بوجود حرية مستقلة بذاتها . لأن الحرية الحقيقية كما نفهمها ليست حرية العدم بل حرية الوجود. الوجودالإنساني الكامل. الإنسان- المجتمع الذي هو مقياس كل الأشياء ، ومتجه كل القيم .

## الانسان في المفهوم القومي الاجتماعي

قبل أن نوضح مفهومنا للحرية، علينا أن نوضح مفهومنا للإنسان الذي هو مصدر وجودها وغايتها وضمان استمرارها . لا وجود لحرية خارج الانسان، ولا معنى لحرية افتراضية وهمية في رؤوس كتّاب القصص ، ورواة الحكايات، وفكاهات المهرّجين . الحرية هي ميزة يتفرد بها الانسان دون سائر المخلوقات ، والانسان بدون الحرية هو مخلوق آخر غير انساني . وحيث يكون الانسان تكون الحرية . وحيث لا يوجد الانسان لا توجد الحرية .ومن يبحث عن الحرية خارج الوجود الانساني المجتمعي لا يمكن ان نسميها انسانية . والفرد الانساني الذي لا يمارس حريته كأنسان اجتماعي ليس انساناً حتى ولو كان له شكل انسان . فالرسوم والصور والتماثيل والمجسّمات وسائر المنحوتات والالعاب تشبه هيئة الفرد الانساني ولكنها ليست حرّة ولن تكون حرّة ولن تصبح حرّة حتى ولو نفخت فيها أنفاس ملايين البشر،وضُخّت فيها أعاصير الكون. الحرية انسانية، وميزة الانسانية الكبرى هي العقل وميزة العقل هي الحرية ، وميزة الحرية هي الصراع في سبيل الأجود والأفضل للانسان وهذه بداية الوعي والنهضة .

فاذا لم ننطلق من الوضوح ونفهم الانسان فهماً صحيحاً لا التباس فيه فلن نصل أبداً الى توضيح مصطلح الحرية وفهمه الفهم الصحيح وسنبقى نتخبط في عالم فرضي وافتراضي هائج بالأوهام والظنون والمبهمات والخرافات.

قال العالم الاجتماعي والفيلسوف أنطون سعاده : **" الذين ولدوا في عصر مظلم ولم تر أنفسهم النور قط لا يرجى منهم أن يروا ببصائرهم العمياء الألوان والظلال والخطوط والأشياء والقيم والطرق واشكال الحياة ومعانيها والمثل العليا التي اعتنقتها النفوس التي وُلدت في النور وسارت في النور**."هذا هوا الواقع الطبيعي، وهذه هي الحقيقة التي تجب البداية منها التي تعني أول شعاع من أشعة الحرية الذي هو تحرر النفوس من البصائر العمياء ومن خرافات المبهمات وذلك بتفعيل البصائر البصيرة المبصرة الولادة

والعيش والحياة والنموّ والنضوج والسير والفعل والانتاج والابداع في النور ،لأن الانسان لا ولن يكون حراً الا في النور الذي يحرره من كل انواع الظلمات . فالنور هو هو لا غيره بيئة الحرية الى أبد الآبدين . والظلمة هي هي لا غيرها جحيم العبودية التي تُعمي النفوس ولن تكون فيها البصائر الا عمياء.

العقل البشري اذن هو البداية ولا يظنن أحد انه بغير العقل الانساني الواعي السليم يمكن أن تكون هناك قيمة انسانية يمكن تسميتها بالحرية .

## الوضوح في فهم الانسان هو الأساس

ان الواجب الأول في عملية التثقيف الذي قال به سعاده عيّنه بوضوح هو" **يجب علينا أن نفهم هدفنا فهماً صحيحاً لنكون قوة فاعلة محققة ولكي نتمكن من العمل المنتج . يجب أن نكون مجتمعاً واعياً مدركاً وهذا لا يتم إلاّ بالدرس المنظم والوعي الصحيح ."**

واستناداً الى هذا **الوجب** الذي يركّز على الوعيّ والفهم الصحيحين والدرس المنظّم شدد سعاده على الوضوح كل التشديد ، فالوضوح هو النور الذي يُولد فيه المتنورون ويسيرون على الهُدى الى تحقيق المقاصد الراقية والمُثُل العليا . الوضوح شرط اساسي للانتقال من حالة مظلمة لا نور فيها ولا تقدم ولا رقيّ أي لا حرية فيها الى حالة جلية يعمّها الجلاء وتتجه فيها البصيرة الى الاهداف السامية والمُثُل وهذا ما قاله في هذا الشأن المعلم انطون سعاده :

**" كل لا وضوح لا يمكن أن يكون أساساً لإيمان صحيح، وكل لا وضوح لا يمكن أن يكون قاعدة لأي حقيقة من جمال أو حق أو خير، فالوضوح ـ معرفة الأمور والإشياء معرفة صحيحة، هو قاعدة لا بد من إتباعها في أي قضية للفكر الإنساني والحياة الإنسانية."**

الحرية بنت الوضوح المتحرر من المبهم الذي هو عبودية والحرُّ هو المتحرر من فوضى المبهمات وبلبلات الغموض.

# النظرات التي اعتمدها المنظرون في فهم الانسان

ان توضيح مفهومنا للإنسان يتطلب،بالضرورة،إيضاح نظرتنا الى الحياة الإنسانية في نشوئها ونموّها وتطورها وارتقائها . وهذه النظرة هي نظرة أنطون سعادة التي انبثقت منها فلسفته المدرحية القومية الاجتماعية التي لها مفهومها الخاص في تفسير معنى الانسان ومعنى الحرية الانسانية ومعنى قيمة الحرية العليا وغيرها من القيَم .

وبما ان هذه الدراسة لا تتسع لبحث اجتماعي وفلسفي كامل يفي الموضوع حقه من جميع جوانبه، فإننا نكتفي بالإشارة والتنويه بأهم النظرات والنظريات التي استند اليها أوالتزم بها النوع الإنساني وجماعاته الثقافية في خطوط وخِطط تفكيرها التاريخية التطورية ، لنشير بعدها الى نظرتنا الجديدة الى الانسان التي يمكن تسميتها بالنظرة المجتمعية الانسانية العقلية المادية - الروحية (المدرحية) أي النظرة القومية الاجتماعية التي ينبثق عنها مفهوم الحرية القومية الاجتماعية الانسانية العقلية وغيره من المفاهيم . فالانسان الاجتماعي العاقل هو الحر ولا وجود للحرية الا بالعقل والوعيّ ، والوجدان الاجتماعي التام .

## أولاً : النظرة الروحية التكهنية الغيبية

هي نظرة تكهنية تصوّرية تقرر انبثاق"الوجود من العدم" ويرى اصحابها ودعاتها الإنسان في كمال وجوده فرداً، ويرون ايضاً البشر في كل بيئاتهم ومجتمعاتهم عائلة واحدة وأصل البشر فرد واحد ، ويتركز بنظرهم أساس المثال الأعلى للقيَم الانسانية في الأساس الغيبي الذي تكهَّنوه والذي جاءت القيَم الإنسانية تعكس بحسب تكهّنهم بعضاً من ارادته ، وتتحرك بأوامره تبعاً لنواميسه

وقوانينه التي يخرقها بمعجزاته،ويعطّل سيرها حين ومتى يشاء. وهذه النظرة هي أرقى ما توصل اليه الإنسان قديماً في ثورته على بدائيته ووحشيته على الرغم من كونها نظرة ماورائية افتراضية تكهنية جزئية أدت الى **مفهوم فردية القيَم وماورائيتها**، بحيث تكهّنت ورأت الحرية مثلاً حرية فردية. ورتّبت على الفرد الانساني مسؤلية تجاه قيَم ماورائية مجردة تهيمن على كل تفكيره ، وتسيطرعليه سيطرة تامة . وهذه النظرة تتعلق بمسألة نشوء النوع البشري التي كما ورد في كتاب نشوء الأمم للعالم الاجتماعي أنطون سعاده " **من المسائل التي شغلت عقل الانسان منذ ابتدأ الانسان يشعر بوجوده ويعقل نسبته الى مظاهر الكون ونسبة هذه المظاهر اليه.فأخذ يتكهن صدوره عن عالم غير هذه الدنيا يعود اليه بعد فناء جسده ولم يكن هذا التكهن الراقي في التصوّر مما تنبه له الانسان كما يتنبه للموجودات الواقعية ، بل كان درجة بارزة في سلّم ارتقاء الفكر سبقتها درجات من التخرصات الغريبة** ".

وهذه النظرة التوهُّمية التكهُّنية الافتراضية لا تزال تتحكم بالمجموع الأعظم من البشر في كل مجتمعاتهم .

## الفرق والتمييز بين النظرة التكهنية والايمان بالله

ولا بد هنا من التمييز بين النظرة الروحية التكهنية الغيبية التي تقول **بانبثاق الوجود من العدم** ، والنظرة الايمانية بالله رب العالمين. فالعدم عدم.والوجود وجود.والله أو إلَه العالمين هو الوجود الباقي وليس عدم . ولو كان عدماً لما استطاع أن يكون وجوداً .والايمان بالله قد يكون بالاكراه كما يكون بالرغبة والترغيب.كما ان عدم الايمان قد يكون بالقسر كما يكون بالطمع والاغراء . وأعلى درجات الايمان الصحيح ما عبّر عنه الامام عليّ بن أبي طالب حين خاطب الله بقوله : "**ما عبدتك طمعاً بجنتك ، ولا خوفاً من نارك ، ولكني وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك** ".

وانطون سعاده لم يكن مؤمناً بالقول فقط حين قال : " **كلنا مسلمون لله رب العالمين ...**" بل تجاوز سقف الايمان الى **الشعور والاحساس بوجود الله وقدرته** فقال : " **أمي وبلادي ابتداء حياتي وستلازمانها الى الانتهاء ، فيا أيها الإلـه أعني لأكون باراً بهما** "
ان أكثر الناس مؤمنون إما خوفاً وإما طمعاً وقليلون هم الذين ارتفع إيمانهم الى الاحساس بالخالق الذي هم في قلبه قبل ان يكون هو في قلوبهم ويحيطهم بعنايته نشواً ومصيراً ومن المحال الانفصال عنه .

الايمان بالله يبدأ بالتلقين والاقناع والاقتناع والشك والترغيب والاكراه ويمكن أن يتراجع ويتقهقر الايمان الى الريبة والشك بالتضليل والتشويه والجبر والترغيب والقهر.**أما الاحساس المادي-الروحي (المدرحي) الصحيح فلا يتراجع ولا يتقهقر بل يعمق ويتسع ويمتد بلا حدود أو سقوف. فلا يخلطن أحد بين التكهُن والايمان بالله فقمة الايمان الصحيح بالله الذي هو الاحساس بالله الذي يجعل الايمان مطلقاً لا تقهقر بعده .**

## ثانياً:النظرة المادية التكهنية الافتراضية

هي نظرة تصوّرية افتراضية تكهنية أيضاً تقرر انبثاق الوجود من" **تطور مادي تلقائي** . وقد رأى أصحابها ودعاتها وفلاسفتها الماديون الإنسان في تمام وجوده ايضاً وجوداً فرداً، ورأوا البشر رغم تمايز وتميّز بيئاتهم ومجتمعاتهم مجتمعاً واحداً، واعتقدوا أن المثال الأعلى للقيَم الانسانية بحسب مفهومهم، يتركَّز في الأساس المادي الديالكتيكي الجدلي الذي جاءت القيَم الإنسانية تعكس بعضاً من جدليته وتتحرك تبعاً لناموس تكَهُّن وافتراض حتميته الذي لا يخضع لتغيير الا تغيير القانون الجدلي .

وهذه النظرة كانت رد فعل على النظرة الروحية الغيبية الإفتراضية التكهنية . فتناقضت معها من حيث النتائج الأخيرة ، وانسجمت النظرتان التكهُنيتان الروحية والمادية من حيث

التصوّر التكهني وأسلوب المواجهة،وموقفهما من علة الكون.فحل إفتراض" **التطور التلقائي**"عند الفلاسفة الماديين محل افتراض " **واجب الوجود**"عند الفلاسفة الروحيين. وكلا الافتراضين تكهّن. مما أدى الى مادية القيَم الانسانية بدل ماورائيتها ، وثنائية التناقض في المثال الأعلى المادي بدل الوحدانية الغيبية في المثال الأعلى الروحي .

## نشوء المفهوم الجزئي

وعن هاتين النظرتين الجزئيتين نشأ مفهوم الانسان الجزئي فرداً ومجموعة، ونشأ مفهوم الحرية الجزئية الفردية والمجموعية أيضاً فاختلط مفهوم الحرية بالحقوق حقوق الفرد وحقوق المجموعات الدينية المؤمنة الطقوسية والمجموعات العلمانية غير المؤمنة أو الملحدة ، واختلط الحابل بالنابل وحلّ التنابذ والتباعد في الآراء والمفاهيم. وكذلك هاجت حروب الالغاء والتكفير بين الجماعات الانسانية مهددة البشرية بمصير الفناء والتلاشي باسم مفهوم الحرية الجزئي التفتيتي الذي تأرجح وتراوح وتناثر بين حالتي الانكماش والانفلاش أدّتا الى تعقّد وتقوقع واختناق نفسيات الاقليات الاتنية والطائفية والفئوية ، وتغطرس وانتفاخ وتورّم نفسيات الاكثريات الملية والطائفية ....الخ

## ثالثاً: نظرة سعاده الى الحياة الانسانية

وهذه النظرة هي عنوان نظرتنا المجتمعية الإنسانية الواقعية الطبيعية التي هي ليست رد فعل على النظرة الروحية، وليست رد فعل على النظرة المادية. وانما هي نظرة عملية واقعية علمية شاملة الى الواقع الإنساني في نشوئه ونموّه،ونشوء المجتمعات وتطورها،ونشوء الأمم وتمدنها وارتقائها ، ونشوء التاريخ والحضارة، ومعنى القومية ووعيّ مضامينها وفهم واستيعاب القيَم الإنسانية العليا وممارسة الصراع لتحقيقها. وذلك انطلاقاً من قاعدة الواقع الطبيعي المحسوس

التي اكتشفها واستند اليها العالم الاجتماعي والفيلسوف انطون سعاده وأشار اليها في كتابه "نشوء الأمم" بعد بحث ودرس وتحقيق :
**" لا بشر حيث لا أرض ، ولا جماعة حيث لا بيئة ، ولا تاريخ حيث لا جماعة "**
هذه النظرة لا تبدأ مما قبل الإنسان . ولا تهتم بما هو خارجه او بعده بل تهتم بكل ماله علاقة به وبتحسين مستوى حياته. ان هذه النظرة تبدأ من وبالإنسان . وتهتم به ، وبكل ما من شأنه تحسين حياة الإنسان وتجويدها وتشريفها وتوسيع آفاق تقدمها وترقيتها، وهي تنتهي فيه وفي ترقية حياته باستمرار. وهي ترى أن الإجتماع كما ذكر المعلم أنطون سعاده في مؤلفه العلمي نشوء الأمم "**حتمي لوجود الإنسان، ضروري لبقائه** ". فاذا انتفى الاجتماع انتفى المجتمع ولم يعد للانسان وجود ولا حياة انسانية ولا بقاء .
وعلى هذا فقد قررت هذه النظرة أن الإنسان في كمال وجوده هو **انسان ـ مجتمع** وليس انسان ـ فرد،وأدركت من البداية أن أساس الإرتقاء الإنساني ليس أساساً روحياً وحسب ،ولا هو أساس مادي خالص **بل هو أساس مادي ـ روحي . أي مدرحي دون ثنائية . أي انساني اجتماعي .**

وهذه النظرة تنطلق من نظرة المعلم أنطون سعاده وتعمل بقوله الشهير"**ليس المكابرون بالروح بمستغنين عن المادة وفلسفتها وليس المكابرون بالمادة بمستغنين عن الروح وفلسفته . إن أساس الإرتقاء الإنساني هو أساس مادي ـ روحي وإن الإنسانية المتفوقة هي التي تدرك هذا الأساس وتشيد صرح مستقبلها عليه**".

## واقع الانسانية واقع مجتمعات

وهذه النظرة ترى بعين الوضوح واليقين والعلم **مجتمعية الإنسان ومدرحيته** لا فرديته المادية ولا فرديته الروحية، وترى أيضاً بعين الواقع والعلم أن الكرة الأرضية الكروية هي واقع بيات أرضية جغرافية متعددة ومتنوعة وان العالم الإنساني هو واقع شعوب

ومجتمعات قومية متمايزة طبيعية وليس اصطناعية . وهذا ما يتفق مع ما ورد في القرآن الجليل:**"يا أيها الناس إنَّا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى، وجعلناكم قبائل وشعوباً لتعارفوا. إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم ".**

ان الواقع الطبيعي هو واقع أمم. واقع مجتمعات انسانية ثقافية حضارية متعايشة متعاونة ولا يمكنها ان تعيش وتتطور وترتقي وهي المعتزلة الواحدة منها عن الأخرى، بل عليها ان تكون على اتصال بعضها ببعض.
وهذه النظرة ترى أيضاً أن مطلقية القيَم الإنسانية هي في كونها قيَم مجتمعية قومية مدرجية انسانية متنوعة في انسجام ، ومتعددة في تناغم ، ومتمايزة في تفاهم .

## مسؤولية الفرد تجاه المجتمع ومثله العليا

وبناء على ما تقدم فإن مسؤلية الفرد الإنساني النهائية ليست ولا يمكن ان تكون تجاه القيَم الماورائية الغيبية المجردة ، ولا تجاه المثال المادي في الحياة ، وإنما هي مسؤولية تجاه المجتمع ومثله العليا الذي ينتمي اليه الفرد **"ولا يستطيع اختياره إلا بقدر ما يختار والديه"** كما عبَّر عن ذلك أنطون سعاده .
**فالمجتمع هو مصدر الأفراد وهو بالتالي مصدر القيَم وغايتها ، وهو أيضاً المدى الصالح والحيوي الذي يفسح المجال لبروز الشخصية الفردية ونموّها ورقيّها واطلاقها الى أبعد مدى .**

وعلى هذا الأساس فإننا نجد أن القيَم الفردية أو الفئوية أو المذهبية أو الطبقية لا تستطيع مهما ارتقت أن تصل الى مستوى القيَم الحقيقية الإنسانية ، لأنها لا تقدر أن تتعدى في اهتماماتها نطاق الفرد أو الفئة أو الملّة أو المذهب أو الطبقة أو الأقلية أو الأكثرية .

وبما أن المجتمع يحضن الفرد والفئة والملّة والمذهب والطبقة والأقلية والأكثرية وكل الشرائح ، فإن القيَم القومية الإجتماعية الإنسانية

هي قيَم جميع الأفراد والفئات والملل والمذاهب والطبقات والأقليات والأكثريات وكل الشرائح الإجتماعية.

## عالمية النظرة المدرحية القومية الاجتماعية

وحيث ان المجتمع القومي هوعنصرأساسي في مُرَكَّب العالم الذي نسميه الانسانية المترابطة فيما بين أممه بواسطة ثقافاتها وعلاقاتها وآدابها وابداعاتها، فإن اتجاه القيَم الإجتماعية القومية هو اتجاه قيَم انسانية عالمية عامة لجميع بني البشر .

وكلما ارتقى الفكر في أمة،وارتقت مفاهيمها،وتوسعت آفاق نظرها، وابعاد مُثُلها العليا، فإن وسائل تفاهمها مع غيرها من الأمم تصبح أرقى، وقيَمُها تصبح أكثر انسانية وأكثر قبولاً وتبنياً لدى جميع الشعوب والأمم لأنها تقوم على العقل الذي هو الشرع الأعلى والقانون الاساسي للوجود الاجتماعي الانساني ، والذي وصفه المعلم انطون سعاده بانه البشرية كما جاء في مجلة المجلة في البرازيل عدد ابريل1925 بعنوان "**العقل البشري هوالبشرية**" قائلاً:**"إنَّ الأمم والشعوب متى كانت منفردة، أيّ منعزلة الواحدة منها عن الأخرى، لا يمكن أن تتألف منها وحدة تُسمى"البشرية"أو"الانسانية"على الاطلاق. فالبشرية أو الانسانية وتطورها باعتبار انها تركيب كامل لا يتم الا اذا كانت أجزاؤها مترابطة ترابطاً تاماً بتلك الواسطة الانسانية التي تُسمى"العقل البشري". فالعقل البشري هوالبشرية أو الانسانية كلها متى كانت أقسامه على اتصال بعضها ببعض بما يُطلق عليه اسم : " أفكار" أو "خواطر" تسير بين الأمم كلها. فاذا لم يكن ذلك ، بطُل أن يكون هناك إنسانية بمعناها العصري، واقتصرت لفظة الانسانية على التعبير عن الانسان تمييزاً له عن الحيوان،ولا يتسنى لأجزاء العقل البشري ان تكون على إتصال بعضها ببعض إلاّ إذا توفّرت لها وسائل التفاهم التي تحمل الى العقل السوري أو العقل المصري فكر العقل الانكليزي أو الالماني مثلاً ."**

**لا نظن انه يوجد أمة ترضى اعتزال العالم لو خُيِّرت، أم تتمكن من ذلك إذا عقدت النيَّة عليه ."**
**"بناء عليه كان واجب كل أمة أن تُسهِّل وسائل التفاهم بينها وبين الأمم الأخرى الغريبة عنها ، وبناء على هذه النظرية كان واجب الأمم الناطقة بالضاد أن لا تُقصِّر في التفاهم مع الأمم الأخرى."**

## واجب الفرد الانساني

وبناء على كل ما ورد ذكره،فإن مسؤلية كل فرد إنساني هي أن يكون مواطناً صالحاً منتجاً في المجتمع وليس في الفئة،ولا في المذهب ولافي الطبقة ولا في الطائفة ولا في أي شكل آخر من أشكال التجمعات البشرية المنغلقة أو المنفلشة .
وحين يتحول أبناء المجتمع الى مواطنين صالحين منتجين فإن مجتمعهم يُصبح ،بلا شك، عضواً سليماً فاعلاً في حركة إغناء التجدُّد والإرتقاء الإنسانيين، وتكوين عالم انساني جديد بقيَم انسانية أرقى وأسمى .

على ضوء هذا المفهوم الجديد للوجود الإنساني يتضح أن الوجود الكامل السليم الصحيح ليس وجوداً فردياً أو فئوياً أو مجموعياً بل وجوداً إجتماعيا.وليس وجوداً مادياً منفصلاً عن الروح، ولا وجودا روحياً مجردا من المادة، بل هو وجود مادي-روحي واحد . وجود مدرحي انساني اجتماعي إذا تجزأ فقد انسانيته وتلاشى.

ان مفهوم الانسان في نظرة انطون سعاده الواقعية العلمية والفلسفية هو انسان - مجتمع - أمة وهو أيضاً انسان مادي - روحي .وصحته في مجتمعيته وليست في فئوياته . وسلامته في مدرحيته وليست في تفسخه بين المادة والروح. أي أن مرضه في تشلَعه الى فئويات متضاربة ، وخرابه في تنافر نفسيات أفراده وفئوياته وكيانياته . أما ارتقاؤه وأساس ارتقائه ومسيرة وديمومة ارتقائه ففي كونه وجوداً قومياً اجتماعياً مدرحياً انسانياً .

## واقع كوكب الأرض

ولأن واقع الكوكب الذي نعيش عليه ليس بيئة واحدة، بل واقع بيئات متنوعة ومتمايزة ، مما يجعل العالم الإنساني واقع مجتمعات متنوعة ومتمايزة. واقع أمم. فإن الوجود المجتمعي الأتم الكامل هو وجود الأمة التي لا تعني جيلاً واحداً في حقبة من الزمن ، ولا تعني عدة أجيال في عدة حقب زمنية بل تعني وحدة حياة الجماعة الانسانية وحركتها المستمرة على بقعة أو بيئة معينة من الأرض تفاعلت معها وتتفاعل وسوف يستمر هذا التفاعل منذ كانت الحياة الانسانية على الأرض الى ما سوف تكون الأرض وما ستكون الحياة الانسانية .
فالبيئة الطبيعية من الثوابت ، والجماعة الانسانية المتطورة المتعاقبة هي أيضاً ثابتة الوجود بثبات بيئتها . وتطورالجماعة بتطور ثقافتها ورقيّها.
ويتضح أيضاً أنه يجب اعتبارالانسانية تركيباً كاملاً استنادا الى هذه النظرة التي تقول بالانسان ـ المجتمع ،والتي ترى أن الأفراد هم امكانيات وفعاليات اجتماعية ، فان المثال الأعلى للقيَم الانسانية يتركزعلى الاساس المجتمعي الانساني المدرحي حيث يكون المجتمع هو مصدر كل القيَم وحضنها ومآلها، وحيث يكون ارتقاؤه المستمر الشرط الأساسي على أهليته وجدارته في النموّ والإبتكار والإبداع والخلق ، وحيث يدل على مبلغ السموّ في رسالته الحضارية الى الشعوب الأخرى، ويشيرالى جدية مشاركته في الصراع الانساني من أجل تحقيق " **حياة أجود ، في عالم أجمل ، وقيَم أعلى** " كما عبَّر عن ذلك الفيلسوف أنطون سعاده في كتابه " **الصراع الفكري في الأدب السوري**".

## القيم الحقيقية قيم قومية اجتماعية انسانية

فبدلاً من فردية القيَم وماورائيتها كما تقررفي النظرة الروحية الغيبية التكهنية، وبدلاً من فردية القيَم ومادیتها وخضوعها لبعض

القوانين الحتمية أو بعض القوانين التي توصل الى اكتشافها أو تقريرها العقل الانساني في زمن معيّن، ومكان معيّن، ومستوى ثقافي معيّن، فإن القيَم تصبح في المفهوم الجديد قيَماً قومية اجتماعية إنسانية تبدأ من المجتمع وبالمجتمع،وتنمو بنموّالمجتمع،وترتقي وتسمو بقدرما في المجتمع من طاقة على الارتقاء والسموّ. وتصبح مسؤلية الأفراد ليست تجاه قيَم ماورائية تكهنية مجردة، ولا تجاه قيَم مادية خانقة،**بل تجاه قضية عُظمى تساوي كل وجودهم**. ويتوقف على انتصارها أوانهيارها انتصارالأمة أو انهيارها.وانتصار العالم وغناه الانساني أوانهيارالعالم وشيوع همجيته وتلاشي انسانيته .

هذه هي بعض ملامح النظرة الجديدة التي تكشفت لنا بأحد أبرز عباقرة أمتنا المعلم أنطون سعاده الذي دفع دمه ثمناً لتكريس هذا الوعي وانتصاره في جميع أبناء أمتنا، ليتنبهوا الى حقيقة وجودهم، وليعملوا من أجل تحقيق انتصار حقيقتهم، فتستعيد الأمة قدرتها على الحياة والإبداع، وتحتل مكانها اللائق بها تحت الشمس بين الأمم .

## مفهوم الحرية المجتمعية الجديد

وعلى ضوء هذه النظرة الإجتماعية العلمية العقلية التي لا تبدأ مما قبل الإنسان ، ولا تهتم بما بعده وخارجه، بل تهتّم بالانسان نموّاً ورقيّاً وتقدّماً سنحاول تفسير المفهوم الجديد للحرية . مفهوم الحرية المجتمعية الإنسانية عند عالم الاجتماع والفيلسوف أنطون سعاده التي قال عنها أنها رسالة الأمة السورية الى سورية والى العالم العربي والى الانسانية جمعاء.

## المجتمع هو الحالة والمكان الطبيعيان للانسان

يقول سعاده في الفصل الرابع من مؤلفه العلمي نشوء الأمم في الصفحات 51-52 :" **اننا حيثما وجدنا الانسان وفي أية درجة من**

**الانحطاط أو الارتقاء ، وجدناه في حالة اجتماعية . وهكذا نرى ان المجتمع هوالحالة والمكان الطبيعيان للانسان ، الضروريان لحياته وارتقائهما. ولما كنّا لم نجد الانسان الا مجتمعاً ووجدنا بقايا اجتماعه في الطبقات الجيولوجية ايضا ، فنحن محمولون على الذهاب الى ان الاجتماع الانساني قديم قدم الانسانية، بل نرجّح انه أقدم منها وأنه صفة موروثة فيها "**

وبناء على دراسة نشوء المجتمعات والأمم والقوميات دراسة واقعية علمية وجدية ومتأنية يكوّن نظرته الواقعية الجديدة للطبيعة،وللحياة الانسانية الطبيعية في هذا الكون، ولمسؤولية الانسان تجاه نفسه وتجاه الكون ومواجهته ، ورسالة الانسان ودوره في فعل الكشف والانتاج والخلق والابداع فيؤسس فلسفته على قواعد الواقع الطبيعي لحياة الانسان في مجتمعه، ولعلاقاته مع غيره من المجتمعات ، ويعيّن لهذه الفلسفة مباديء ونهجاً وغاية عاملاً مجاهداً بكل ما لديه من مواهب وما يملك من امكانيات وما توفّر له من قدرات ليحقق مضامين ومفاهيم هذه الفلسفة التي أطلق عليها الفلسفة المدرحية القومية الاجتماعية في أمته لتكون أمته بهذه الفلسفة النموذج المثال لجميع الأمم والمتحدات الانسانية الاجتماعية بحيث تتحول الى عقيدة حياة انسانية صالحة جديدة لانسان مجتمعي صالح جديد يمكنها النهوض أو هي الفلسفة الصالحة لتحقيق نهضة أي مجتمع - أمة في هذا العالم .

وقد كان واضحاً في تعريفها عندما قال :" **نعرّف العقيدة بأنها قومية اجتماعية . فهي قومية لأنها تقول بالأمة**

**والولاء القومي . وهي اجتماعية لأن غايتها الاجتماع الانساني - المجتمع وحقيقته ونموّه وحياته المثلى. والمجتمع الأكبر والأمثل هو الأمة. وقد جاء في التعاليم " أمة واحدة- مجتمع واحد". من هذا الايضاح الأولي ندرك أن عقيدتنا تقول بحقيقة انسانية ، كلية ، أساسية هي الحقيقة الاجتماعية :الجماعة،المجتمع الواحد . فالاجتماع للانسان حتمي لوجوده، ضروري لبقائه واستمراره. والمجتمع هو الوجود الانساني الكامل والحقيقة الانسانية الكلية.**

**والقيم الانسانية العليا لا يمكن أن يكون لها وجود وفعل الا في المجتمع . فمتجه القيم كلها هو المجتمع-هو مصدرها وهو غايتها "**
**والحرية ليست الا قيمة اجتماعية انسانية من هذه القيَم .**

## معنى المجتمع ومعنى القومية

فما هو معنى المجتمع وماهومعنى القومية في نظر انطون سعاده العالم الاجتماعي والفيلسوف؟ وماهو معنى القومية

الاجتماعية لتسهيل معنى ومفهوم الحرية القومية الاجتماعية ؟

بالاستناد الى كتاب " نشوء الأمم" الذي تناول فيه دراسة الاجتماع الانساني ابتداءً من عهد نشوئه ، ومروراً بكل المراحل التطورية منذ بداية التاريخ الجلي وحتى عهدنا الحالي . يقول سعاده في فصل :

" الاثم الكنعاني " في الصفحة 165 : " **الأمة متحد اجتماعي أو مجتمع طبيعي من الناس قبل كل شيء آخر** "، ويستخلص بعد بحثه تعريفاً للأمة غير خاضع لتأثير واحد معيّن من تاريخ أو أدب أو سياسة أوأي شيء آخر فيقول :" **الأمة جماعة من البشر تحيا حياة موحدة المصالح ، موحدة المصير، موحدة العوامل النفسية المادية في قطر معيّن يُكسبها تفاعلها معه ، في مجرى التطور ، خصائص ومزايا تُميّزها عن غيرها من الجماعات."**

المقصود من المجتمع عند سعاده هو المجتمع الطبيعي أي مجتمع الأمة ، ومجتمع الأمة هو جماعة القوم التي تحيا في بيئة معيّنة وتتفاعل مع هذه البيئة وتصنع تاريخها عليها. والقوم لغوياً كلمة مشتقة من الاقامة أي اقامة الجماعة الانسانية في المكان أو البيئة.وجمع الكلمة أقوام. ولاقامة القوم في المكان سُميَّ المكان بيئة القوم الطبيعية أو وطن جماعة-القوم المستوطنة فيه،والمتفاعلة معه.فالبقعة الجغرافية لا يمكن تسميتها وطناً الا اذا أقام واستوطن فيها قوم . وكذلك لا يمكن أن نسّمي القوم قوماً الا اذا كانوا مقيمين في بيئة معينة.في وطن معيَّن .

فكلمة القوم تعني الأمة اي وحدة الجماعة الانسانية المقيمة والمستوطنة في بيئة ارضية معيّنة متحدرةً من تاريخ طويل يعود الى ما قبل الزمن التاريخي الجلي صانعةً ثقافتها وحضارتها وتاريخها في بيئتها

فاذا وصلت جماعة القوم أي جماعة مجتمع الأمة الى **طور ومرحلة النضوج والرشد واخذت تتنبه لوحدة وجودها ووحدة حياتها ووحدة مصيرها وبدأت تدرك مصالحها في الحياة يمكننا ان نقول أنها بلغت درجة الوعي المجتمعي اي الوعي القومي أي وعيّ الامة لوحدة حياتها ومصيرها.**

**فالقومية اذن يقظة وتنبه أي حالة نضوج مجتمع الأمة ورشده .**

فاذا كان الفرد الانساني عندما يصل الى سن الرشد يقال عنه انه اصبح راشداً وبرزت شخصيته الفردية الراشدة وأصبح بامكانه ان يتحمل مسؤولية نفسه بنفسه وبناء أسرة ويصبح له رأي وصوت وحقوق مدنية واجتماعية وسياسية **فان المجتمع الانساني الذي ينضج ويتنبه لمصالحه في الحياة وتقرير مصيره وتبرز شخصيته الاجتماعية يقال انه اصبح ناضجاً واعيا راشداً نابهاً أي انه بلغ مرحلة وحالة الوعي المجتمعي القومي .**

فالقومية اذن هي يقظة ووعيّ وتنبه الأمة وقد عبَّر أنطون سعاده أبلغ وأحسن تعبيرعن هذا المعنى في كتابه العلمي " نشوء الأمم ".في الصفحة 167 بهذا المقطع :"**القومية، هي يقظة الأمة وتنبهها لوحدة حياتها ولشخصيتها ومميزاتها ولوحدة مصيرها . وقد تلتبس أحياناً بالوطنية التي هي محبة الوطن ، لأن الوطنية من القومية ، ولأن الوطن أقوى عامل من عوامل نشوء الأمة وأهم عنصر من عناصرها . انها الوجدان العميق الحيّ الفاهم الخير العام، المولّد محبة الوطن والتعاون الداخلي بالنظر لدفع الأخطارالتي قد تحدّق بالأمة ولتوسيع مواردها، الموجد الشعور بوحدة المصالح الحيوية والنفسية، المريد استمرار الحياة واستجادة الحياة بالتعصب لهذه الحياة الجامعة التي يعني فلاحها فلاح المجموع وخذلانها خذلانه**"

.

هذا هو معنى القومية . انها حالة يقظة المجتمع ونضوجه ورشده وتمام أهليته وكفاءته .

## القومية الاجتماعية وعيُّ المجتمع حقيقته

بعد هذا التوضيح لم يعد يوجد أي مبرر لأي التباس في فهم مصطلح " **القومية الاجتماعية** "المركّب من كلمتي: " **القوم والاجتماع** " أي **الانسان ـ المجتمع ووجدان المجتمع الحيّ الفاهم** . الانسان- الأمة ونضوج الانسان التام الذي لا يحتاج الى وصيّ ولا الى وكيل ولا الى مربّي ولا الى راعي أو مشرف. ولم يعد **الاجتماع** اجتماع عصبة أو عصابة من الأفراد أو فئة أو عشيرة أو ملة أو طائفة أو مذهب. ولم تعد **القومية** تعني عصبية عصابة او قومية فئوية فئة أو قومية طائفية طائفة أوعشيرة او ملّة أو مذهب.بل **صارت الأمة تعني وحدة وجود ووحدة حياة ووحدة تاريخ ووحدة حضارة ووحدة مصير.**

**وأصبحت القومية تعني ذاتية الأمة العميقة ووجدانها الحيّ ويقظتها المنعشة ووعيها المنفتح المتوسع باستمرارعلى أبعاد الكون وآفاق الأزمنة وآتيات العصور.**

## الحرية القومية الاجتماعسة

**وأصبح مفهوم الحرية القومية الاجتماعية هو الروحية الصراعية المنبثقة والمتولدة من أعماق الانسان- المجتمع ـ الأمة الواعي .**

**الحرية تعني في المفهوم الجديد حرية الوجود الانساني الواقعي أي الانسان- المجتمع التام . وتعني أيضاً وعيّ وتنبه هذا الوجود الانساني لذاته ومكانته ودوره في الوجود . فهي انبثاق فعل من داخل الانسان-المجتمع لاتُعطى ولا تُؤخذ، ولا تُمنح ولا تُسترد . ولا يُتساهل بها ولا تُغتصب بل هي حركة تفعل، وحياة تنهض ،ووعيٌّ يرتقي**

**ويتسع ، وقوة صراع لا تكتفي بنجاح لأنها أم كل نجاح وفلاح وانتصار.**

## مفهوم الحرية المجتمعية النامية

وبما أن الوجود المجتمعي الإنساني هو وجود نموّ والنموّ حركة ، فإن حرية الانسان هي **حرية انسانية اجتماعية نامية متحركة ديناميكية، وهي حرية الصراع والتقدم**. صراع أفكار تتعمق بأفكار، وتتوسع بأفكار. وتمتد بافكار. وتتحسن بأفكار.وترتقي بأفكار.انها صراع بصائر ورؤى. صراع عقائد في سبيل تحقيق مجتمع أفضل للمتصارعين بهدف ترقية وتحسين مستوى الحياة .
انها قاعدة من قواعد نهضة كل مجتمع يريد ان ينهض، وهي الى جانب كونها قاعدة هي ايضاً وسيلة من وسائل تقدمه وازدهاره .
وهي فوق ذلك منقبة قيمية عليا من مناقب وقيم الانسان- المجتمع - الأمة .
من الطبيعي أن القاعدة لا تكون سليمة وفاعلة أو تُكتسب فاعليتها إلا من حيث هي جزء في كل مُرَكَّب . لها مكانها ولها دورها ولها وظيفتها .
ولهذا فإن الحرية ليست منعزلة عما عداها من القواعد والدعائم وهي لا تكون بالضعف بل تكون مع القوة. ولا تكون بالفوضى بل تكون مع النظام . ولا تكون بالتخاذل بل تكون مع الشعور بالمسؤلية والقيام بالواجب. ونحن لا نستطيع أن نتصور مجتمعاً حراً راقياً يرضى بالجهل ويعيش بالتخلُّف ويسير بالرذائل مبتعداً عن الفضائل والمحامد والمكارم .

## الحرية لا تنشأ الا في مناخ الحرية

يتبيَّن من كل ما تقدم ان للحرية في مفهومها الجديد مناخاً خاصاً لا تنشأ الحرية بدونه ولا تنمو وتستمر بغير توفره ، ولا ترتقي الا بارتقاء الانسان- المجتمع.
وهذا المناخ لا يقوم بدون مقومات أصلية جلية ومتينة .
وبما أن الحرية هي ميزة الإنسان العاقل ،وهي من أرقى مزايا الإنسان - المجتمع فإن مقومات نشوء مناخها هي مقومات إجتماعية إنسانية نهضوية. ومن العبث أن نبحث عن الأحرار خارج نهضة المجتمع سواء كان ذلك في مناخ الإستسلام لقوى "**الماوراء**"أو في مناخ الإستسلام للقوانين" **الوضعية الإفتراضية** " التي وضعها الإنسان أو قررها في تعاقب أجياله . وكذلك لاتفيد في شيء كل محاولات التوفيق والتسويات التي تجري لتقريب وجهات النظر المتناقضة والمتضاربة في المنطلقات والاساليب والأهداف القريبة والمتوسطة والبعيدة .

إن الحرية هي من أهم الوسائل وأفعل الأسباب التي يستطيع الإنسان بواسطتها غزو العوالم التي ما تزال قدرته الإنسانية غير كافية وغير مهيأة لإكتشاف خبايا وأسرار تلك العوالم.والتي تسفِّه،في حال اكتشافها، الكثير من المفاهيم "**الماورائية "والتعليلات التكهنية، والروايات الخرافية .**

والحرية في الوقت نفسه هي من أقوى الأسلحة الفعَّالة في اكتشاف نواميس كونية وحياتية أعم،وقوانين طبيعية أشمل تساعد الإنسان على التخلّص من عبودية النظريات الحتمية ، والأحكام المسبقة، والتنظير الخرافي، لأن الحقيقة البديهية التي يجب أن تبقى ماثلة أمامنا هي:
**" أننا كلما صعدنا قمة تراءت لنا قمم أعلى ويجب علينا أن نصعدها ."**

والى جانب كون الحرية وسيلة وسلاحاً فعالين في تحرير الانسان- المجتمع من قيود عادات وتقاليد وأعراف وافكار الماضي التي رثَّت

واهترأت فانها قيمة من أهم القيَم التي تدفع الانسان وتحرّك طاقاته لينطلق الى الأمام .الى الأنفع والأحسن والأفضل .

وانطلاقاً من هذه الحقيقة فإن كل قول نهائي فاصل في تعليل نشوء الكون أوتفسير نهايته، هو قول باطل مهما ارتقى أسلوب منطقه، ومهما بدت تعليلات حدوثه واقعية للعقول الفردية الجزئية . فالعقول الفردية تحتاج دائماً وباستمرار الى مزيد من التعقّل والتبصّر، ومزيد من النموّ والنضج وسموّ الإدراك .

والحقيقة في نظري هي كما قال المعلم أنطون سعاده : "**انه لا يُوجد في العالم شيء يُسمى حقيقة ابتدائية. فكل شيء متعلق بما سبقه الى ما لا نستطيع ادراكه.**"

واستنادا الى هذا الفهم الإجتماعي للإنسان، فنحن نقرر أن القيَم الإنسانية هي قيَم اجتماعية انسانية . قيَم قومية اجتماعية .
ولأن المجتمعات هي كائنات طبيعية حيَّة نامية، فإن مفاهيم القيَم الحقيقية هي مفاهيم القيَم الحياتية التي تنمو وترتقي بنموّ المجتمعات وارتقائها . وتضعف وتتخلف وتزول بضعف وتخلف وزوال المجتمعات .

## تحديد الحرية

وبناء على ماتقدم ، فإن أفضل تحديد للحرية التي هي قيمة عليا من قيم الانسان المجتمع أن تبقى بدون تحديد .
واذا كان لابد من تعريف الحرية لتقريبها من الأفهام، فإن الحرية تكمن في طاقة المجتمع على النمُوّ الدائم ، وقدرته على الخلق المتسامي ، وتكمن أيضاً في جدارته على ممارسة سلبيته في مواجهة الكون الماثل أمامنا بحيث لا يبقى مشلولاً أمام عظمة الكون وألغازه وخباياه .

الحرية هي القدرة الانسانية على تعديل وتصحيح وتصويب كل المفاهيم التي ظـهـرت حتى الآن من جراء تقصير العقول الفردية الجزئية، التي كان قصورها بالذات ويبقى، طريقا مسدودة ونهاية خانقة تقضي على كل أمـل للإنسانية بالنهـوض والتـقـدم والارتقاء .

من هنا كانت أهمية توفُّر مناخ النهضة الذي هو:"**خروج من البلبلة الى التعيين .**" على حد تعبير المعلم سـعاده . ومن هنا كانت أهمية ولادة الإنسان الجديد الجيِّد الصالح الناهض الذي يسعى باستمرار الى الأصلح والأجود والأرقى نهوضاً .
**وتوفُّر مناخ النهوض أوالنهضة، وولادة الإنسان الجديد هما أمران مهمان أساسيان** ولا يمكن أن يحصلا إلا بتوفر المقومات الأساسية التالية :

# مقومات نشوء الحرية

## المقوم الأول : الـوعيّ الاجتماعي الإنساني

إن الوعي الاجتماعي الإنساني السليم هـو شرط أساسي وجوهـري لقيام ونشوء الحرية ، لأن " **المجتمع مـعرفة والمـعرفة قـوة** " كما قال أنطون سعاده. والقوة هي حركة ديناميكية حيَّة نامية.والمعرفة التي نقصد هي المعرفة الإنسانية بكل أبعادها،وبكل مستوياتها ومقاييسها المنبثـقـة من يـقـظـة المجتمع،وتنبّهـه لوجوده ومعنى وجوده.وحياته ومصالحه في الحيـاة. ومصيـره وكيفية تحسين وتجـويـد وتـرقـية هـذا المـصـيـر.

إن الحريـة هي وليـدة تـنـبـُّه الإنسان الخـارج من الظلـمة الى النـور. ومن الشك الى اليقـين.ومن الجهل الى العلم. ومن الضلال الى الهُدى. فالجاهلون المتخلفون ليسوا أحراراً ولا يمارسون إلا جهلهم وتخلّفهم وانحطاطهم . إنهـم عبـيـد جـهـلـهـم وتـخـبـطهم وبـلبلاتهـم وعـقـدهم وأمـراضـهـم النفسية التي لا تسمح لهم بأن يكونـوا أحـرارا ً.

الحرية لا تكون من غير يقظة والحر لا يكون بلا وعيّ .الحرية تحرر من الغفوة والخمول والجهل والخرافة والوهم والتكهّن .
وعلى عكس الجاهليين الخرافيين يكون الواعون العارفون العاقلون أحراراً بوعيّهم ومعرفتهم وتبصُّرهم وصراعيتهم حيث يُؤكد تنبههم ، وتُؤكد ممارستهم لوعيهم وبطولتهم على إصالتهم وعلى صفاء حريتهم وسموّهم في حريتهم.

الحرية لاتكون من غير يقظة ونهضة، والأحرار لايكونون بلا وعيّ وادراك. الغفوة عبودية والخاملون عبيد . الوعيّ حرية والواعون أحرار.النهضة حرية والناهضون أحرار.
إن الحرية الإنسانية لا تُحَد لأنها لا تكون إلا بالمعرفة المتطورة النامية بغير حدود كتطور المجتمع ونموّه وتساميه الذي ليس له حدود . أما العبودية فوحدها هي المحدودة بالغفوة والغباء والخمول والجهل والاتكالية والتخلّف والإنحطاط .

## المقوم الثاني : المناقب الإجتماعية

إن المناقب الإجتماعية الانسانية هي الشرط الثاني من شروط توفر مناخ الحرية التي يستحيل أن تكون وتقوم مع الرذائل والمساويء والمفاسد .

إن الحرية منقبة.والحرية التي لاتكون منقبة وغيرالمقترنة بالمناقب الإجتماعية الإنسانية الراقية لا تكفي ولا تسمح أبداً أن يكون المجتمع حراً ، وأن يكون أبنائه أحراراً .

ولذلك لا بد من توفر عقلية أخلاقية فاعلة يمارسها الإنسان وعياً، وتحقيقاً، واستمرار ممارسة، فيعبِّر بذلك عن حريته الصحيحة السليمة محبةً، وعدلاً، وحقاً،وخيراً، وجمالاً، ونظاماً، وقوة، ومسؤولية، وعطاءً، وتضحية، فترتفع الحرية الى مستوى قيَمي ومناقبي راقي

جديد وتُصبح، بالإضافة الى كونها قاعدة من قواعد النهضة القومية الإجتماعية ، فضيلةً من فضائل هذه النهضة.

إن الذين يمارسون الفضائل باستمرار، ويعملون ويعطون ويبدعون ويصارعون ويضحون في سبيل تحقيق المُثُلِ العليا العظيمة لأمتهم هم وحدهم الأحياء الأحرار بوعيهم ومعرفتهم ومناقبهم وفضائلهم.

والمجتمع الواعي المناقبي الفضائلي هو بالذات المجتمع الانساني الحر الذي يستطيع ان يكون قدوة حسنة لغيره من المجتمعات، ويستطيع ان يكون معلماً وهادياً للأمم .

أما الذين يعيشون بالرذائل المتأتية من جهلهم وتخلفهم وسوء طبائعهم فليسوا من الأحرار في شيء،ولا يستحقون أن يكونوا أحراراً. فهم لا ينتمون الى مجتمع المعرفة بل ينتمون الى تجمعات القطعان . والقطعان التي ليس لها رعاة تمزّقها وتفترسها الوحوش .

## المقوم الثالث : التقدم الإجتماعي الإنساني

إن التقدم الإجتماعي الإنساني ، فضلاً عن كونه ميزة من مزايا نموّ الإنسان ـ المجتمع،ونموّ وعيه ،وسموّ مناقبه، فإنه أيضاً شرط ثالث من شروط مناخ وجود ، ونموّ،وسموّ الحرية.لأن المعرفة التي لاتنمو،ولا تتطور، ولا تتقدم وترتقي، فإنها ليست معرفة فاضلة بتحجّرها وانغلاقها وتقوقعها.
هذه ليست معرفة بل هي حالة تحجّر تُعَطِّل ، وتخنق العقل الإنساني بمفاهيمها الجامدة ، وقوالبها القاتلة . وتتحول الى درك رديء من دركات العبودية .

إن قدرة العقل الإنساني المجتمعي لا تُحَد. والعقل السليم النامي هو وحده الذي يضع القواعد ، ويقرر المفاهيم، ويكتشف النواميس ويُذلِّل كل عاصي. فإذا قُولِبَ العقل بالقوانين،وحُوصِر بالنظريات

والتنظير، وقُيِّد بعفن التقاليد والعادات والاعراف والخرافات والأوهام فقد بَطُلَ أن يكون عقلاً. لقد " **وُجِدَ العقل ليعرف ، ليدرك ، ليتبصر ، ليميّز ، ليعيّن الأهداف ، وليفعل في الوجود**" على حد تعبير المعلم أنطون سعاده .

وبالعقل ليس للحرية حدود.لأن العقل يسمو ويتسامى بغير حدود. فحريتنا، تقاس مثلاً، بقدر ما نكون نحن مُتقدمين وسبّاقين ومُتفوّقين ومُبدعين وخلاّقين في مضمار الحضارة ، وليس بنسبة ما نكون متخلفين ومتأخرين وخاملين ومتخاذلين . وحريتنا يجب أن تقاس بالنسبة لما حققته أرقى المجتمعات الحضارية ، بل يجب أن تُقاس حريات الأمم الراقية بالنسبة لمفهومنا القومي المجتمعي المدرحي الراقي الجديد للحرية الذي تجاوز وتخطى أرقى المفاهيم . ولا يجوز أبداً أن نقيس حريتنا بالنسبة للمجتمعات المتخلفة الغبية الظالمة .

## مقومات الوعيّ والمناقب والتقدم

**إن الوعيّ، والمناقب، والتقدم**، هي مقومات أساسية وشروط مهمة ضرورية لايمكن أن يتوفر مناخ الحرية المجتمعية الإنسانية بدونها . وهي:

**وعي المجتمع حقيقة وجوده ، ومصالح حياته ، وتعيين أهدافه ومُثُله العليا .**

**وهي ممارسة الفضائل والمناقب القومية الإجتماعية لتوليد عقلية أخلاقية جديدة جيدة .**

**وهي صراع بالوعي والمناقب وتقدّم بطولي لتحقيق أسمى المُثُل وأبعد المرامي التي تليق بأصحاب النفوس الحرّة الجميلة العظيمة.**

## المفهوم الجديد يستوعب جميع المفاهيم

هذا المفهوم الجديد للحرية قادر أن يستوعب جميع المفاهيم الجزئية للحرية في العالم لأنه يقول بحرية المجتمع كل المجتمع . وليس بحرية فرد أو أفراد ، ولا بحرية فئة، أو حرية طائفة أو طبقة.
**إن المجتمع هو حر بقدر ما فيه من وعيّ ومعرفة ، وبقدر ما يمارس من المناقب والفضائل ، وبقدر ما يحقق من التقدم والإرتقاء .**

ولذلك فإن المجتمع الحر هو وحده الذي يتمتع فيه أبناؤه كل أبنائه بالحرية . فهم أحرار لأنهم من مجتمع وفي مجتمع حر . أما الذين يقولون بحريات سياسية او اجتماعية او أدبية أو اقتصادية أو دينية أو جزئية وعلى أساس فردي أو فئوي ، فإن مفاهيمهم تبقى قاصرة عن مفهوم الحرية السليم الشامل كل هذه الشؤون . وحبذا لو استبدلوا كلمة الحريات بكلمة حقوق لكان أصح وأصوب .

## المفهوم الجزئي لا يرتقي الى المفهوم التام

إننا نقبل مفاهيمهم من حيث هي مفاهيم جزئية ، وليس من حيث هي مفاهيم شاملة.فالحرية التي تقول بها الرأسمالية الفردية مثلاً ، والتي تبيح للفرد في المجتمع أن يعتقد بما يريد، ويقول ما يريد، ويعمل ما يريد، ليست حرية حقيقية صحيحة شاملة . فما هي قيمة إعتقاد أو قول أوعمل الفرد الجاهلي السيء المتخلف الشريرالمجرم في ظل الأنظمة الجائرة الفاسدة المستبدة المستغلة نشاط وجهود ونتاج الملايين لمصلحة فئة ظالمة جشعة خائنة متآمرة على أبناء مجتمعها ؟!

إننا نقول أولاً بتحرير الفرد من عقد المخاوف والأوهام والمفاسد والحاجات المادية والروحية وأمراض الأنانية والفئوية والطائفية

والمذهبية والكيانية الضيقة. وتحريره أيضاً من العادات والتقاليد والأعراف البالية النتنة العفنة، ونعمل لإيجاد النظام النهضوي الجديد وتوفير المناخ الصحيح الملائم، ليصبح لإعتقاد الفرد وقوله وعمله وممارسته قيمة الحرية بتربيته على الوعيّ،وتدريبه على حياة المناقب، وتأهيله وتشجيعه على التقدم والصراع ، واطلاق مواهبه وقدراته ليبتكر ويبدع أرقى ما تستطيعه النفس الانسانية الحرة المبدعة من ابتكار وابداع .

## مفاهيم جزئية

أما الحرية الإقتصادية التي قالت ونادت بها الفلسفات والمذاهب الاقتصادية المادية ، والتي لاقت استحساناً عند الكثيرين من الناس ليست أكثر من دليل على وجود الخلل والأخطاء في المفهوم الرأسمالي الفردي للحرية .

فبدلاً من أن تكون الأقلية العددية متحكمة بحياة المجتمع ، ومسخّرة كل جهوده لمنافعها بتسلطها على مصالح حياته، وتسخيره لخدمة أغراضها الخصوصية الشخصية في النظام الرأسمالي الفردي ، فقد شددت الماركسية وحرّضت على ثورة طبقة الأكثرية المسحوقة المحكومة على الطبقة الحاكمة والعمل من أجل إذلالها والسيطرة عليها وإنشاء:**"دكتاتورية البروليتاريا** "مكانها مجزئةً بذلك المجتمع ومدمرةً وحدته باقتتال داخلي ، ومعطلة وعيه ، ومحطمةً مناقبه وروحيته وقيمه ، وقاضيةً على كل امل بالتقدم والرقي ، لأن " **كل مجتمع ينقسم على نفسه يخرب** " كما علّم رسول المحبة والسلام يسوع السوري .
إن المفهوم الماركسي ـ بدلاً من التركيز على وحدة المجتمع ـ شدّد على تفتيته بحجة توحيده، وأثار الضغائن والأحقاد في نفوس أبناء المجتمع فانشلت حركته الإنتاجية ، وتعطّل فعل طاقاته التي يجب أن توجّه كلها لتحسين أوضاع المنتجين بتحسين حياة المجتمع وترقيته بتمام وجوده .

وهو أيضاً ـ بدلاً من الرؤية العلمية الوقعية للعالم الإنساني كواقع مجتمعات متمايزة بحضاراتها ومواهبها وقدراتها ـ فإنه تجاهل هذا الواقع وأثار بين الشعوب حروباً على غرار حروب الدول الرأسمالية الإستعمارية أدّت الى استعباد كثير من الشعوب المتخلفة بدل مساعدتها على النهوض والتقدم . فصارت العلاقة بين الشعوب علاقة تابع ومتبوع ،وظالم ومظلوم وعلاقة عبيد وأسياد بدل أن تكون علاقة التعاون بين المجتمعات الناهضة وعلاقة الإخاء الإنساني التي هي في أساس الحضارة العالمية والتقدم الإنساني ويجب أن تكون .

إننا نجد ـ في الحقيقة ـ أنه كما قصّر المفهوم الرأسمالي الفردي الإستعماري التسلطي في معالجة مشاكل العالم فكذلك قصَّر أيضا المفهوم المضاد، وبقيت مشاكل العالم تتعقد وتزداد تعقيداً جيلاً بعد جيل ، وعقداً بعد عقد ، وقرناً بعد قرن.

## النظريات تتطور وتتغير بحركات الشعوب

ان تطورات المجتمعات وحركات الشعوب كانت أقوى من أن تسير بحسب نظرات ونظريات وضعها مدَّعو الفلسفة والعلم ، وتقبّلها الكثيرون من أبنائنا غباءً وجهلاً دون ان تستيقظ فيهم روح المبادرة والعزّة والابداع .
إن النظريات والقوانين والمباديء والدساتير والأنظمة وكل ما يمكن تصوّره من الشرائع والأفكار هي لمساعدة الشعوب على تحسين حياتها ، وترقية مصيرها، وليس لاستعباد الشعوب وقتل طموحاتها .

ان جميع النظرات والنظريات الروحية أو المادية أو التوفقية أو الاصلاحية كانت وتبقى وسوف تستمر على مشرحة تطور

الشعوب ونهضاتها وثوراتها . وحتى الأديان نفسها هي خاضعة لحالة النموّ والتطور والتغيير .

## نظرة الى التاريخ

وتكفي نظرة بسيطة الى التاريخ لنجد كيف ترومنت المسيحية في روما ، وتسكسنت في انكلترا . وكيف تتركت وتعثمنت المحمدية في تركيا ، وتعجمنت أو تفرست في بلاد فارس(إيران).وكيف تروسنت الماركسية في روسيا، وتصيّنت في الصين ، وتكوبنت في كوبا. وكيف تفرنست النظريات الأخرى من هيغلية وشخصانية في فرنسا ، وتأمركت في أميركانيا . وتدرج تأقلمها صعوداً أو هبوطاً في الشعوب النامية التي ما تزال تعاني من إستغلال الدول القوية الإستعمارية .

إن كل المزايدات اللفظية الكلامية والدعايات المغرضة لا يمكنها أن تقوم مكان الحقائق والوقائع والأرقام . فالفرد مثلاً في ظل الأنظمة الرأسمالية الفردية الإستعمارية هو حرٌ في الظاهر في أن يعمل أو لا يعمل. ولكنه في الحقيقة والواقع والمحسوس هو مُجبَرٌ ومُكره لكي يعيش أن يعمل تحت أقسى الشروط التي يفرضها عليه أرباب العمل وأصحاب الشركات وجميع المهيمنين على أرزاق الناس .
ولذلك فإن حريته هي حرية العبودية والذل ، وليست حرية الكرامة والعز. والافضل ان نستبدل كلمة حريته بحقوقه المهضومة المسلوبة التي جعلته فريسة للخنوع والاستعباد .
والفرد ، أيضا، في الأنظمة الماركسية الإشتراكية حرٌ في ممارسة الدعاية والتبشير والدعوة الى اعتناق عقيدة مادية والعمل على تقوية وتعزيز سلطة الدولة التي تشكل في حد ذاتها شركة كبرى يديرها ويسيطر عليها حفنة من الذين برعوا في تزوير الحقائق وتضليل الناس واستخدامهم كرهاًأوطوعاًمن أجل مآرب خاصة جزئية وفئوية متذرعين بفلسفة مادية مصورينها للناس على انها

عقيدة العقائد، ونظرية النظريات التي لا نظرية قبلها ولا نظرية بعدها أو فوقها أو مثلها مع أن الدولة هي المظهر الثقافي التنظيمي السياسي للأمة وليست سلطة وسوط استبداد وطغيان .

وهي في الحقيقة نظرية دعاية خادعة لا تخدم سوى المسيطرين والمهيمنين على مراكز القرار والتقرير في الحزب أو الأحزاب الطغيانية التي تسيطرعلى مقدرات الدولة والأمة.

وكذلك حال المواطن الفرد في ظل الأنظمة العسكرية التوتاليتارية الذي تأمنت له لقمة العيش في خدمة حكومة مستبدة جائرة ، وتأمن له العمل في حقولها ومصانعها ومزارعها ومكاتب شركاتها فأصبح غير قادر- مهما وجد النظام ظالماً ومجحفاً وسيئاً- أن يمارس حقوقه ويقول رأيه بصراحة أو يحتج أو يرفض أو يبرز مواهبه في غير الخط المرسوم له، وليس له إلا الوظيفة المقررة لنشاطه واستخدامه من قبل الطغاة المستبدين والمسيطرين على مرافق الدولة في حكومتها الجائرة .

إن حرية الفرد والافضل ان نقول حقوق الفرد في هذه الأنظمة هي حرية او حق اي واجب التبويق والتصفيق للأسياد الذين يستخدمون الناس عبيداً لقاء لقمة عيشهم مجبرين على أعمال لا يقبلها حق، ولا تقر بها عدالة، وليست حرية الأحرار الأعزاء الذين لا يقبلون بغير عيشة الشرفاء ، وحياة الكرماء في أمة حرّة .

## الحرية المجتمعية هي حرية الصراع والتقدم

ان فلسفة انطون سعاده المدرحية القومية الاجتماعية تقول بالإنسان - المجتمع الذي هو مصدر الفرد، ونطاق بروز وتحقق شخصية الفرد ، والضامن لإستمرار وجود وخلود الفرد .
ففي المجتمع أصل الفرد ومصدره . وفي المجتمع بروز شخصية الفرد وتحقق كيانه وشخصيته . وفي المجتمع الحر يكون بقاء الفرد

وخلوده حراً. والفرد الحر هو ابن المجتمع الحر . ودرجة حرية الفرد ترتقي وترتفع سويتها بنسبة ما يتوحدن بقضية مجتمعه وبقدر ما يعمل الفرد من اجل عزة مجتمعه ورقيه. وليس بنسبة ما ينعزل ويغترب عن قضية مجتمعه.

ان في انعزال الفرد عن مجتمعه أو في استغلال الفرد لمجتمعه من أجل منافع فردية خصوصية تنكر للوعي والمناقب والرقيّ يؤدي الى الشلل والانسلاخ والتقزم والتصنّم والذبول والإنهيار. والحرية لا تكون أبداً شللاً وتقزماً وتصنماً وذبولاً وانهياراً ، بل هي دائما انفتاح لا نهاية له ، وحركة لا تتوقف عن الفعل ، ونموٌ من طبيعته الإستمرار والازدهار .

من طبيعة الإنسان النموّ . والنمو هو نموّ الوعي والفكر.فاذا توقف الانسان عن النموّ سقط وتلاشى ومات. والحرية لاتكون بالسقوط والتلاشي والموت بل تكون بالحياة .الحياة حرية.والحرية حياة. والأحياء هم الأحرار.
أحرار بالحياة لأن أبناء الحياة أحرار .أما الأموات فهم العبيد . عبيد بالموت وأبناء عبيد .

الحرية مظهر نموّ الفكر الذي يوجّه الإرادة ، فتسمو الإرادة بحرية الفكر وتزيده وضوحاً وقوةً وفاعلية، فيزداد تألقاً ويزداد المجتمع تقدماً وحرية، ويصبح الإنسان مؤهلاً لتحقيق : " **الحياة الأجود في عالم أجمل وقيَمٍ أعلى** " كما عبّر عن ذلك عالم القومية الاجتماعية وفيلسوفها أنطون سعاده في كتابه " الصراع الفكري في الأدب السوري" حيث يصبح لقاء الأمم الحرة الناهضة سبيلاً الى الإرتقاء الإنساني الصحيح وبلوغ عالمٍ موحّد وعولمة مناقبية راقية تقوم على قيم الحق والخير والجمال " **إذا كشفت مخبآت الأبد أنه سيكون ممكناً احداث ذلك العالم** ." كما قال سعاده في مؤلفه " نشوء الأمم".

## الحرية مجتمعية والمجتمع الحر مجتمع نهضة

إننا ننطلق في فهمنا من وحدة حياة المجتمع وليس من تجزئته الى فتات . ننطلق من المجتمع وتمامه وشموليته وليس من الفرد وجزئيته ومحدوديته ، وذلك اعتماداً على ما توصل اليه العالم الاجتماعي انطون سعاده في نشوء الأمم في الفصل السادس الصفحة 91 حيث قال:**"وفي أحط درجات الاجتماع البشري وأبسطها نجد الجماعة أو العشيرة وعبثاً نحاول أن نجد الفرد ، فهو لا وجود له اقتصادياً ولا حقوقياً ولذلك فهو ليس بداءة الاجتماع ولا شأن له في تعيين الاجتماع وكيفيته ."**

وعلى أساس ما تقدم نرى في كمال وجود أمتنا وتمامه وجودنا الكامل الفاعل كأفراد، فنرفض كل ما من شأنه تجزئتنا وتفسيخنا أرضاً وشعباً وحضارة وتاريخاً.
نحن وحدة حياة . شعب متفاعل مع أرضه وارض متفاعلة مع شعب متنامي متسلسل ومتتابع الاجيال هي أساس حياته.لا قيمة لأرضنا بدون شعبنا وحضارته. ولا وجود ولا قيمة لشعبنا وحضارتنا بدون أرضنا. ولا معنى ولا جدوى للأرض والحضارة بدون شعبنا .
ولأننا وحدة حياة على هذا المستوى ، فإن كل فرد من أفرادنا ينمو ويجب أن ينمو بنموّ مجتمعه ، ومن حقه أن ينمو ولا معني لوجوده وشخصيته بغير نموّ.
وعلى كل حكومة في دولته أن تسهر وتحافظ وتعمل على نموّ وتقدم وارتقاء كل فرد دون تمييز، ودون تحفّظ ودون تبرير او ذرائع تضليلية خادعة كعملها ومحافظتها على سلامة وتقدم وارتقاء الأمة والدولة . كما عليها أن تحافظ على كل شبر من أرض الوطن لتبقى سلامة الوطن والأمة مصانة . وينبغي على الحكومات أيضا أن توفر للشعب كل أسباب ووسائل تنمية الحضارة وتوسيع آفاقها.

بهذه الأمور المتقدمة تكون الأمة حرة ويكون أبناؤها أحراراً ، ولا معنى للحرية إلا بالنهضة وبالقدرة على الإبداع وتحمّل المسؤلية

وممارسة فعل الصراع سحقاً للباطل وانتصاراً للحق . انتصار حقنا وسحق باطل أعدائنا ليعودوا الى جادة العدل والصواب .

إلا أن النموّ الذي أشرنا اليه لا يكون أبداً ولا يستقيم بغير انتاج. والإنتاج بدوره متنوع يشمل العلم والفكر،والفن والصناعة والزراعة، والإبداع ، والتضحية والصراع .

ولهذا كان مبدأ الإنتاج في مفهومنا أنه :"**يجب على كل مواطن أن يكون منتجاً بطريقة من الطرق .**" فمن لا ينتج ليس حراً لأن البطالة أم العبودية ، ليصح أن يكون مبدأ الحق في المجتمع الحر هو أن : " **لكل مواطن نصيبه العادل من الإنتاج العام** " في المجتمع كما توضح مباديء الفلسفة القومية الإجتماعية.لأن في تحقيق هذا المبدأ هو تحقيق لمستقبل زاهر للأمة وأبنائها والأجيال الآتية .

ومبدا الإنتاج لايتفق ولا يتوافق أبداً مع هدر طاقات المجتمع وفعالياته لأن في هدر طاقات المجتمع وبعثرة موارده تعطيل وتشويه للحرية واستسلام للعبودية .

المجتمع لا يتقدم ويرتقي باستنفاد واستهلاك كل جهود المواطنين وارهاقهم ، بل يتقدم المجتمع بتهيئة مناخ الإنتاج الفكري ـ العلمي ـ الصناعي ـ الزراعي ـ الفني ـ الإبداعي ـ البطولي وتنظيمه ورعايته وتأمينه لما فيه مصلحة الأمة وسلامة الدولة الجديرة والمؤهلة لخدمة مصالح الأمة وأهدافها بحيث تتأمن مصلحة كل مواطن وسلامته في الحياة الجيّدة المتنامية العزيزة الحرة . وحيث يعمل المواطن ليس خدمة خصوصية لبعض أفراد ولا لشركات،ولا لمرافق حكومية،ولا لأغراض جزئية ولا حتى لإنتاج بذاته مهما كان هذا الإنتاج كبيراً ، **بل انه يعمل في سبيل تحقيق الحياة الجيّدة المُثلى لأمته المتحدة حياته بحياتها والتي لا جودة لحياته إلا بجودة حياتها** التي تعبّر عن الحرية المسؤولة الجيدة لا الحرية المتفلتة الرديئة .

هكذا يكون الفرد الانساني حراً بوعيّه ومناقبه وانتاجه وصراعه وابداعاته وتضحياته في سبيل انتصار مقاصد أمته العليا وغاياتها الشريفة،وقضيتها العُظمى التي تنطوي على أجمل مقاصده، وأشرف غاياته وتعبّر عن استقلال فكره وصحة إرادته وسلامة حريته.

هذه هي الحرية المنقبة القيمية الكامنة في انسانية الانسان- المجتمع ووجدانه الاجتماعي، والمستيقظة فيه، ولا تُنتزع منه، ولا تُمنح له، وباقية فيه حركة صراع لتحقيق كل ما هو أفضل للحياة جماعةً وأفراداً ومجتمعاً وأجيالاً ترتقي بممارسة الحرية، والمفاهيم الفكرية الفاضلة التي تتحقق بالصراع الدائم ولايجوز أبداً أو يحق أن تطبّق على المجتمع أية فكرة أو نظرية أو أمر استذواقي استنسابي كما لو أنه مادة من مواد الإختبار في المختبرات العلمية .

## عقيدة الوعي المدرحي القومية الاجتماعية

بناء على كل ما تقدم بالضبط كانت الضرورة لتوليد عقيدة الوعيّ القومي الإجتماعي في كل أبناء المجتمع، وإيقاظ وجدانهم المجتمعي العام، وتنبيههم الى قضية وجودهم وحياتهم ومصيرهم، وكانت بالتالي أهمية توفير المناخ الصحيح الملائم لتأمين سلامة نموّهم في **توليد نظام جديد** تتحقق بواسطته مباديء عقيدة الحرية الجامعة لمختلف العقائد الصالحة وغاياتها الراقية التي هي مزيد من تحقيق الصلاح والحق والخيروالجمال ، واستمرار ارتقاء الحق والخير والجمال باستمرار ارتقاء الأمة الحرة المتحررة بالمعرفة والفضيلة من كل المثالب والرذائل والجهالات .

إن المواطن الفرد كما تبين في أنظمة الفلسفات الفردية والنظريات الجزئية المشار اليها هو حر في أن يكون عبداً للفكرة والنظرية والحزب وحكومة الدولة والمتسلطين على مقدراتها ومرافقها ووزاراتها ، وحر أيضاً بالتجرجر وراء الوعود الخادعة والدعايات

المضللة والأوهام الرومانسية السرابية . لكنه أبداً ليس حراً ان يمتنع عن تنفيذ الأوامر مهما كانت خاطئة وظالمة وشريرة ورديئة ، وليس بحر ان يتخلص من التقاليد والاعراف والخرافات مهما استفحل شرها .

من الأمور البديهية أن يضحي المواطن الفرد بنفسه من أجل حياة مجتمعه لأن في حياة المجتمع وسعادته تكمن حياة الفرد وسعادة الفرد. أما التضحية في سبيل فكرة أو نظرية أوحكومة او رئيس بشكل لايخدم مصالح الأمة وأهدافها في الحياة، وممارسة الإستقلال الروحي، وسيادة ذاتية الأمة العامة ، والمصير العزيز فإنها تضحية خرقاء تصغر أمامها كل الأضاليل والأخطاء والجرائم .

**إن التضحية ليست من أجل التضحية ، بل يجب أن تكون التضحية من أجل قضية عُظمى تساوي وجود الأفراد في بقاء مجتمعهم حراً ونموّه متقدماً واستمراره راقياً ليحيوا في هذا الوجود أحراراً .**

هذا هو مفهوم التضحية في عقيدة الحرية القومية الاجتماعية التي هي حركة صراع في سبيل الأرقى .

فوجود الفرد ما كان بالإنفصال عن المجتمع . وبقاء الفرد يستحيل أن يتم خارج بيئة حركة المجتمع. ولا حرية للفرد إلا اذا كان مجتمعه حراً . والمجتمع الحر لايمكن ان يكون حراً إلا إذا كان جميع ابنائه أحراراً، واستمرت أجياله تمارس الحرية وعياً ومناقباً، ونمواً وانتاجاً، وصراعاً ورقياً.

بهذا المفهوم للحرية يصبح أي اعتداء على أي فرد من أفراد المجتمع أوأي شبر من أرض الوطن هواعتداء على الشعب كله ، واعتداء على الحرية ذاتها ، وتهديداً لوحدة الوطن وسلامته ، ووحدة المجتمع وصلاحه وعزة مصيره. والاعتداء هو الباطل الذي ترفضه الحرية ويقاومه ويحاربه الأحرار . ويصبح في المقابل أيضا أي تساهل بحقوق أي مواطن أو أي تنازل عن شبر واحد من أرض الوطن لمصلحة عدو معتدي هو تساهل بحقوق الشعب كله وتنازل عن أرض

الوطن كلها.كما أن أي ويل أو كارثة أو نكبة تنزل بأي فرد من أبناء الأمة ولا ترد الأمة كما ينبغي أن ترد وتحمي أبناءها ، فإنها تعرض شخصيتها للإنهيار وسيادتها للضياع وحريتها للسقوط.

وكل أمة تنهار شخصيتها وتفقد سيادتها على نفسها ووطنها ، ولا تحمي نفسها بحماية أبنائها وحماية وطنها تسقط لأنها غير جديرة بالحياة والحرية،وغير مؤهلة للتنّعم بالعزّ والرقيّ. ومن المحال أن يعيش أبناء المجتمع الحر في ظل التخلف والجهل والمثالب والإنحطاط والذل والعبودية .

**فالحق الانساني الطبيعي هو احترام حقوق المجتمعات الطبيعية في وجودها وممارسة حياتها بكرامة وتقرير مصيرها بعزّ.**
**والباطل هو العدوان على حقوق الشعوب وانسانية الشعوب .**

**والحرية في مفهومها المدرحي القومي الاجتماعي الانساني لا تكون الا مع الحق ونصرته ، وفي مهاجمة الباطل وسحقه .**

الحرية ممارسة يمارسها أبناء الحق تفوّقاً في الوعيّ، وتفوقاً في المناقبية الأخلاقية، وتفوّقاً في الصراع البطولي المؤيد بصحة النظرة والرؤية والمباديء والغاية والمُثُل العليا . وهي هي النقيض للعبودية التي هي انحطاط في الطبع والطبيعة الانسانيين ، وسيطرة التخاذل والاتكالية والخنوع والاستسلام لتراكم ما أفسده الدهر وما اهترأ وتعفّن عبر القرون ، وما تقيأ به مجرمو الأمم من جور وطغيان وأجرام .

## الحرية هي الأحرار في مجتمع حر

**إن الحرية هي الأحرار. وإن الأحرار هم الأمة الحرة. والأمة الحرة هي الأمة الواعية مسؤليتها، والقوية بوعيها، والنظامية بحريتها، والحرة بنظاميتها ، والعادلة بحقها ، والمحقة بعدالتها، والخيّرة بجمال نفسيتها ، والجميلة بخيرِ انتاجها وابداعها.**

الأمة الحرة هي التي تعرف حقوقها وحقوق غيرها من الأمم فتدافع عن حقوقها وتحترم حقوق غيرها وتحترم هذه الحقوق وتناضل من اجل الحفاظ عليها . فلا تتنازل عن حقوقها لغيرها ، ولا تعتدي على حقوق غيرها.

انها الأمة التي تعرف واجباتها ومسؤلياتها وتمارس مسؤلياتها وتقوم بواجباتها ليس اكراهاً ولا طمعاً ولا خداعاً وغشاً بل تقوم بكل ما تتطلبه الحرية العصية على القهر .

الأمة الحرة تدرك وحدة حياتها ومصالحها واغراضها ومقاصدها ومثلها العليا وتجاهد في سبيل تحقيقها بكل ما تستلزمه الحرية من وعي وعزم وارادة وجهاد دون الاعتداء على غيرها لأن الاعتداء هو الباطل . وهي لا تقبل اعتداء غيرها عليها لأن قبول الاعتداء والخنوع له هو أشد أنواع الباطل فظاعة وعبودية .

## الحرية حركة انقاذ من التعدي والخنوع

هذا هو مفهوم الحرية في فلسفة انطون سعاده المدرحية القومية الاجتماعية الانسانية . لأن الحرية اجتماعية انسانية ولا وجود لها بالنسبة لنا كبشر خارج نطاق الاجتماع الانساني .
**الأمة الحرة هي التي تعمل من أجل اكتشاف أعداء الإنسان والحرية لتطاردهم وتحاربهم وتنتصر عليهم بانقاذهم من نفسية التعدي والعدوان وايقاظ جوهر الانسانية فيهم فلا يغويهم الاستكبار فيبطرون ولا يغشهم الخنوع فيستسلمون .**

ان الحرية القومية الاجتماعيية تحمل رسالة الهُدى والحياة والحرية الى جميع الأمم والشعوب ، واضعةً حداً لأطماع الجماعات الهمجية المتوحشة ، مساهمةً في انشاء المدنية الإنسانية وبنائها

وترقيتها ، مبدعةً ومبتكرةً أروع وأجمل ما تُؤهلها نفسيتها العظيمة على ابتكاره وابداعه من خِطَط التفوق الإنساني .

لن نستطيع أن نكون أحراراً ، ولن نستطيع أن ننعم بالحرية وفي شعبنا مواطن فرد واحد جائع أو جاهل أو مُهان ، ومن أرضنا شبر واحد مُغتَصَب . ولن نستطيع أن نكون أحراراً أيضاً وأمتنا ليس لها دور في صناعة أوالمساهمة في صناعة وكتابة تاريخ مدنية الإنسان على هذا الكوكب لسبر أغوار هذا الكون الامتناهي الماثل أمامنا واكتشاف ما يمكن اكتشافه من أسرار الوجود ومخبآت الآفاق .

## معنى الحرية القومية الاجتماعية

الحرية تعني الحياة الجيدة لكل مواطن ، وتعني أيضاً سيادة الأمة الكاملة على نفسها وعلى وطنها . وتعني الخروج من الظلمة الى النور، ومن الضلال الى الهُدى، وتعني نهوض الأمم وتعاونها فيما بينها لخلق الإنسان البشري الإنساني .الإنسان ـ النوع النوعي الذي شاءته العناية الخالقة متميزا وسيّداً وممثلاً لها على الأرض في هذا الوجود وليس في غير هذا الوجود .

الحرية تعني تحقيق وتحقق ارادة حياة الحق العزيزة الحرة التي يكون انتصارها كما قال فيلسوف المدرحية القومية الاجتماعية أنطون سعاده : **" الانتصار لا يكون الا بالحرية . فالحرية صراع . ليست حرية العدم، بل حرية الوجود. والوجود حركة. هي حرية الصراع . صراع العقائد في سبيل تحقيق مجتمع أفضل ولا معنى للحرية وراء ذلك . ويل للعقائد الباطلة من الحرية، لأن الحرية صراع ! الصراع امتحان العقائد والقيَم،وهو امتحان النفوس ! ونهايته دائماً غالب ومغلوب ! الحق والحرية هما قيمتان انسانيتان من قيَم الانسان-المجتمع ! كل مجتمع يفقد هاتين القيمتين يفقد معنى الحياة السامي ! الحياة بدون هاتين القيمتين عدم !"**

# الحرية حق والحق نور

وقال أيضاً سعاده:" **ليست قيمة الحق ولا قيمة الحقيقة والخير والجمال مادية ، فهي لاتقاس بالسنتيمترات ولا بالأمتار المربعة أو المكعبة،ولاتوزن بالأواقي والأرطال، ولا تحدُّ بمكان وزمان معين، إنها قِيَمٌ إنسانية- نفسية إنها قيم مجتمعية ".**

الحرية هي نور الحق نيّةً وممارسةً ونغماً يحرّر النفوس من أوهام الباطل، وعبودية تيه الجهالة ، وضلال التشبث بأضغاث الاحلام، وسموم الارتماء في مقابر الاتكالية وسراب المنى .

الحرية لا تنتصر الا بالحق، والحق لايثبت وينتصر الا بالحرية.

فمجتمع الحق هو مجتمع الحرية والمجتمع الحر هو مجتمع الحق .

وكلام السيد المسيح الى أتباعه هو الحكمة الخالدة: "**أعرفوا الحق والحق يحرركم**"(يوحنا 8: 32).

هذا هو مفهوم الحرية كما أراه في فلسفة أنطون سعاده المدرحية القومية الاجتماعية . ان الحرية هي احدى القيم الانسانية النفسية المجتمعية وفي مقدّمة القِيَم .لا قيمة للحياة الا بالحرية. ولا حرية الا بالحق. ولا انتصار الا بالحق والحرية. ولا معنى للحق والحرية الا اذا كانتا قيمتين انسانيتين من قيم الانسان-المجتمع اللتين تجعلان حياة الانسان حياة هُدى متصاعد، ورُقيّ متنامي،وسُموٍّ متألق.

**الحرية جدارة القوي على فعل الأجدر** .الحرية من حيث هي كلمة مؤلفة من حروف هي كلمة مبهمة وليست شيئاً على الاطلاق.أما اذا اقترنت بصفة الحريّ ، فان المعنى يتجه نحو الوضوح ويقترب من التعريف والمعرفة لأن المقصود بالحريّ هو الجدير وجدارة الجدير تعني أنه مستعد وقادرعلى فعل الأجدر. وفعل الأجدرلايقوم به انسان جزئي جاهل أو غبي أبله أو خامل أو متخاذل أو مجنون أو شرير أو مخرّب يائس من الحياة ،بل يفعل الفعل الأجدر والأحسن هوالانسان التام الكامل الواعي النبيه الفهيم المتزن والعامل المبادر الشجاع ، والعاقل الخيِّر الواثق من نفسه ، والمحب للحياة

والمصارع على الدوام من أجل النهوض بالحياة ، وترقية الحياة وتسامي الحياة مع الأيام والسنين والعقود والقرون والعصور.

والقويّ هو الانسان الكامل .هو الانسان التفاعلي المنفعل الفاعل الذي لم ينشأ في الفضاء بل نشأ على الأرض وليس في كل الأرض بل في بيئة معيّنة حيث بدأ انساناً ـ مجتمعاً أنشأ ثقافته وحضارته وصنع تاريخه ولم تستعبده الأرض بامكاناتها بل كيّف امكانات الارض وأطلقها فحرر نفسه من الاتكالية والروتينية ، وحرر الأرض من الاهمال والاختناق .

## الانسان- المجتمع الحر أدرك حقيقة الحياة

بتحرير الانسان نفسه من حالة الانفعال بالارض وتحرير الارض بفعله فيها وتكييفها لتؤمن مصالحه الحياتية تحرر وحرر أرضه بالتفاعل المنتج فعرف حقيقة نشوء الحياة بتفاعل قوى المادة مع الروح ، والجوهر مع الوجود ، والزمان مع المكان، والأبد مع الأزل فأدرك بانسانيته المجتمعية أن أساس الارتقاء هو الأساس المادي- الروحي أي المدرحي ، واكتشف بهذا الادراك المدرحي ـ الاجتماعي ـالقومي الانساني أنه هو الانسان الحريّ والجدير والحر لتحقيق كل ما هوأحرى وأجدروأجود، وانه باستمرار فعل الأحرى والأجدر والأجود عبرأجياله هوالحرالقادرالمنطلق من قوة المعرفة ومعرفة القوة الحقيقية الملتزمة دائماً وابداً بانتظام نظام فكرٍ ونهج كلما ارتقى وتعمّق واتسع فيه الفكر كان مفهوم الحرية فيه أرقى، وكلما ارتقى مفهوم الحرية كان مفهوم النهج أصوب وأصح ، وكلما صار مفهوم النهج أصوب وأصح اتحدت الحرية بالواجب واتحد الواجب بالنظام واقترن النظام بالقوة حتى انعدمت الحواجز والفواصل بين الحرية والنظام والقوة والواجب في مدار فلك القيَم الانسانية العليا التي تصعد أو يصعد بها الانسان- المجتمع من الأرض باتجاه السماء قمة بعد قمة بعد تحقيق انتصاره على الأرض المنتصرة بانتصاره الحر .

لا أحد يستطيع أن يكون حراً الا اذا كان مجتمعه حرّاً.والمجتمع الحر لا يمكن أن يكون حراً الا اذا تحرر بالمعرفة، ونهض بالمعرفة، وقام بواجب تعميق المعرفة، ومارس نظام المعرفة، وقوّى نفسه بالمعرفة، فاكتسب بحرية المعرفة وواجب المعرفة ونظام المعرفة وقوة المعرفة حياة مناقب وقيم وفضائل الحق والخير والجمال التي يرتفع بها الى الحياة الأجود والعالم الأجمل والقيَم الانسانية الأعلى والأسمى .

لقد ركزت فلسفة انطون سعاده المدرحية القومية الاجتماعية على تحقيق نهضة الأمة وعلى حريتها في نهضويتها لتشمل نهضة المجتمع جميع أبناء الأمة في جميع أجيالها ليتمتعوا جميعهم بحرية النهوض وحرية التقدم وحرية الرقي لكي لا يخجل الآباء من أجدادهم ولا الأبناء من آبائهم ولا ألأجيال القادمة من جيلنا ، ولكي لا تكون حريات الأمم عاراً عليهم.

## الحرية لاتكون الا بالواجب والنظام والقوة

## الحرية تكون بالقيام بالواجب

الحرية لا تكون حرية الا اذا كانت واجبة .وهي ليست حرة في ان تكون او لا تكون ،بل ان الحرية لتكون حرية حرة يجب أن تكون . والحرية الحرة هي الحرية الواجبة.

## الحرية الواجبة تكون بالنظام

والواجب الواجب لا يكون من غير نظام . أما الحرية غيرالواجبة فانها ليست حرية بل هي الفوضى.والفوضى نقيض النظام. والنظام ليس نظاماً ان لم يكن واجباً يؤدي رسالة الحرية. وتأدية الرسالة ونجاحها لا تكون الا في القوة التي تحرِّك النظام . **في العقيدة التي وراءه وفي الهدف الذي أمامه** .

## الحرية النظامية تكون بقوة العقيدة

والقوة لا تكون من الخارج بل من الداخل لأن الخطر من الداخل وليس من الخارج . القوة الحقيقية هي قوة الحياة التي تنبع من داخل النفس وليست قوة التراكم المتراكم من خارج النفس.القوة اندفاع مهاجم وليس مقاوم. الحرية انبثاق شعاع يمزِّق الظلام ولا يبقي من الظلام الا ما اختبأ في الدهاليز والكهوف والسراديب.

## الحرية القومية الاجتماعية عقيدة انطلاق

هذه هي الحرية الحرة القومية الاجتماعية التي يجب أن تكون . وهذا هو الواجب الحر الذي لا يكون الا بالنظام . وهذا هو النظام الحر الذي لا يحقق النجاح الا في القوة الحرة التي تحرّكه.وهذه هي القوة الحرة التي تنطلق من داخل الانسان صراعاً واعياً هادفاً حراً في سبيل حياة أفضل وأهداف أنبل ومُثُل أجمل وعالم أمثل .

لا معنى للحرية الا اذا كانت واجبة . ولا مغزى للواجب اذا لم يكن في النظام . ولا جدوى من النظام اذا لم تحرّكه القوة . ولا قيمة للقوة الا اذا قامت على المعرفة . ولا فائدة من المعرفة اذا لم تتحول الى عقيدة . ولا نفع من عقيدة اذا لم تنبثق من **نظرية أصلية أصيلة جلية واضحة للوجود** تحرّك مكامن الابداع في نفوس أبناء الأمة فينطلقون بثقة ويقين وايمان لتحقيق حياة أجود، ونشر فضائل أنبل ، وترسيخ قيم أعلى وبلوغ عالم أجمل .

الحرية في مفهومها المادي-الروحي القومي الاجتماعي في فلسفة أنطون سعاده هي بطولة عاقلة ، وعقلٌ منفتحٌ على كل حق وخير وجمال وعدالة ومحبة .

الرفيق يوسف المسمار

البرازيل - كوريتيبا